
يسرى الفخرانى
نافذة
صغيرة
على البحر

يسرى الفخرانى

نافذة صغيرة على بحر

قصص إنسانية من بريدى الخاص

نافذة صغيرة على بحر

يسرى الفخرانى

الطبعة الأولى : يونيو ٢٠١٢

رقم الإيداع : ٩٥٢٦ - ٢٠١٢

الناشر : كلمة عربى للإبداع

الغلاف : هانى محفوظ ديزاين

طباعة : Headline PRINTING, PACKAGING & DESIGN
04/0077
دار النصر للطباعة (هدلاين)



القصص من مشروع قصة كبيرة

الذى أسسه يسرى الفخرانى فى ٢٠٠٨

إهداء

إلى حنان .. قصتي الكبيرة

قصة الكتاب

نافذة صغيرة علي بحر !

وللحقيقة : أنا لم أؤلف هذا الكتاب .. فقد حكوه لى وأنا بدورى أحكيه لكم ، لكن مابين الحكاية الاولى والحكاية الثانية مسافة من العمر جلست أصيغ فيها ماعرفته ، أحذف وأضيف وأؤخر وأصنع من الحبة التى وضعتها امرأة ومضت .. قصة ، إنها قصتها ، وقصتى مع قصتها ، وقصتنا مع الحياة الطويلة الصعبة بكل جنونها وتقلباتها وخوفنا منها وخوفنا عليها ، .... وعندما تقرأ وتفكر فيها فسوف تصبح بالضرورة : قصتك مع قصتها وقصتى وقصتنا .. وسوف تحب المرأة ماجاء فى هذا الكتاب عنها .. وسوف تكرهه أيضا ، مع إنها هى التى تحكى قصتها ، تشرب قهوتها وتحب وتتزوج وتبكى وتضحك وتسافر وتنتقم وتفكر وتخطط وتخلع ماتبقى لديها من هموم على شاطئ بعيد له بحر غامض غامق غريق ، تصنع التفاصيل الصغيرة التى تجعل لحياتها إختلاف عن كل وأى إمرأة غيرها ، سوف ... ، وسوف أكرر شكرى لكل من خبئت عندى قصتها ، ومن سوف تفعل ذلك أو يفعل ، فأنا .. عاشق لقصص الناس والحياة وهذه متعتى ومهمتى .. الحياة فى حياة الناس .

يسرى الفخرانى

القاهرة ٢٠١٢

أيام لم تعد معي !

اكتب قصتي علي أمل أن أتخلص منها، سمعتك مرة تقول إننا نفقد ذكرياتنا المرة بمجرد أن نكتبها علي ورق ، فهل هذا صحيح ؟ علي الأقل ليس أمامي إلا أن أصدقك فهذه حياتي مليئة بمرارة قديمة ، تبدأ باليوم الذي قررت فيه أسرتي أنني يجب أن أتزوج فقد أصبحت عروساً ، كان ذلك تماما عندما احتفلت مع صديقاتي بعيد ميلادي العشرين ، هذه هي المرة الأولي التي أعرف فيها أن كل بنت مسيرها لبيتها ، .. لم يخبرني أحد عن مصيرها بعد ذلك ، وقتها كنت بالكاد أتعرف علي الحب للمرة الأولي في حياتي ، وأرسل لمحرري زوايا المشاكل والعواطف في المجلات خطابات أسأل فيها عن الحب وأوقع باسم العاشقة العاقلة ، ومع أن ذلك منتهي الجنون ، كنت فقط أريد أن اعرف ماشكل الحب ، ما معني الحب كيف يأتي وكيف أتأكد أن الذي أعيشه اسمه الحب ، حدث هذا في زمن كانت البنات مازلن يتحدثن همسا عن حب ومشاعر وعواطف وأحاسيس ، لاأخفي عليك كنت سعيدة أنني أعيش هذه اللحظات من الحيرة ، لاأنام ، اسهر حتي الصباح أرسم قلوباً كثيرة علي ورق ، أرسم حبيبي ، مثل بحر هائج في ديسمبر أريد أن ألتهم كل المشاعر ، أبكي أضحك أقفز أكتئب أفرح، ما أجمل هذه الأيام التي لم تعد معي ، هذه البنت الشقية الفائرة الثائرة التي لاتتوقع أفعالها ، أين ذهبت مني ، لم تعد معي ، أنا المفقودة

في زحام الحياة ، التي كنت ، والتي كان قلبها يشبه رقصة مجنونة في منتصف موسيقي صاخبة ، وقالت لي أمي يجب أن أتزوج ، وجاء العريس ، ورفضت ثم ترددت بعد أن حضرت فرح ابنة عمي التي في مثل عمري ، وتخيلت نفسي في الفستان الأبيض والطرحة وباقة ورد أختار من ألقيها بين أصابعها ، وفكرت وتراجعت وبإلحاح بسيط من أمي وافقت ، أصبحت عروساً قبل عامي الحادي والعشرون، انتهي حفل الزفاف ثم بدأ كل شيء يسقط ، كل حلم جميل يذوب ، وجدت الحقيقة ، زوج طيب عصبي تقليدي ، ثلاث صفات قاتلة ، أين متعة شهر العسل ، قرأت أننا يجب في الحياة الزوجية أن نستمتع بكل نقطة في علاقتنا معا بكل الثواني التي تمر بين أثنين ، فأين هذه المتعة التي يؤلف عنها المؤلفون المخادعون كتباً ويربحون بسببها ثروة ، هل هي وهم ، لم أستمتع بعلاقة بدت أقرب إلي عمل زوجي في صناعة السجاد، ماكينة كل شيء له موعد ، وفي الدفتر تواريخ مهمة لصيانة وراحة وإغلاق في ساعة محددة ، لماذا لايلمسني زوجي قبل الساعة التاسعة مساء ، سؤال بعد عشر سنوات زواج أسأله لنفسي ، لماذا لا تأتي القبلة إلاإيإذن سابق ، أو نهاية لعلاقة أسبوعية وكأن قبلتهُ زر إغلاق ماكينة ، أنا محسودة من صديقاتي ، من غيري يركب المرسيدس بسواق ويعيش في فيللا بخدم وعندي جرس له فعل السحر ، أعيش ملكة دون تاج ، تقرصني أمي كلما وجدتني ذابلة لعل دماً يقفز إلي وجهي ، وهي تقول لي همسا إنها أحسنت اختيار زوجي ، وأخجل أن أقول لها إن ماكينة المشاعر توقفت بيننا بعد الطفلة الثانية ، قال لي زوجي مرة وكان لم يمض علي زواجنا الإ خمس سنوات : خلاص بقي كبرنا ، من يومها لم تعد الساعة التاسعة تأتي ولو مرة في نهاية الأسبوع ، نصمت أمام التليفزيون ونتناقش في ليالي الشتاء الباردة في سعر الدولار والقضية الفلسطينية وميدان التحرير ، ومرة صدمني

حين خاصمني لأنني أرتدي ثوب نوم وجده مثيراً أكثر مما يتوقع مني ، إتهمني أنني لا أحترم عمري ولا أحترمه ، يومها إنفجرت مثل بالونة لم يكن ينقصها سوي شكة دبوس ، قلت له إن البنات في عمري لم يتزوجن بعد ، فقال بكل برود أنني أم لطفلتين ، قلت له بكل ما أملك من جرأة أن حقي في الحياة أن تحبني وأن تقترب مني وأن نخرج ونضحك ونلهو ونغرس أرواحنا في لحظات حميمية، هو لم يتجاوز أربعين عاما ، له ماض في إحدى القري حيث عاش مع عائلته، حين جاء إلي القاهرة كان عالقا في ماضيه الي درجة أشعر معها باشمئزاز ، يفتخر دائما أنه لا يتغير .. وكنت بلباقة أحاول أن أنبهه إلي أنه ليس من الضرورى أن نغير مبادئنا لكن حتما يجب أن نغير عاداتنا حسب من نعيش معهم ومانعيش فيه ، كان يسخر من هذه الكلمات التي لا تؤلمه أبدا ولاتحرك داخله إحساساً بذنب ، تحولنا إلي شجرتين عتيقتين لايطرحان زهورا مهما كانت حرارة الربيع ، قال لي مرة إن مهمته انتهت بإنجاب طفلتين ، قالها عابرا كأنه لايعنيني ، ولا يعنيني أن أبقى أنثى كأنني لن تجرحني كلمة نهاية يقولها علي سبيل أن يؤكد أن حياته التالية ليست إلا بقية مسلسل تركي ممل طويل لاتتحرك أحداثه حتي موت جميع الأبطال ، جربت معه كل ما يمكن أن تفعله امرأة تريد الحياة ، هل يمكن أن تصدق أنني كنت أتعمد إغراءه ، فينظر لي بقرف كالعادة ، تعمدت مرات أن أحرك غيرته .. فيتهمني أنني غبية ، حتي تدحرجت إلي حالة بكاء مستمرة ، أثمرت تجاعيد علي وجه مازال في سنواته الأولي ، ثم دخل حياتي الفيس بوك فأصبح ملاذاً في حياة فقيرة أعيشها دون إثارة، تعرفت علي أصدقاء ، ثم عثرت علي حب ، صورة علي صفحة ، وجدت فيه ابتسامه حنون يكتب علي حائط صفحته كلاماً جميلاً في الحب ، تعارفنا ، كان محترما إلي أبعد الحدود ، رقيقا إلي حد أعاد لي أسئلتي القديمة عن الحب ، مرة أخري أشتعل

، لم أعد للبكاء ، شيء يشبه الفرح ، عدت أهتم بتفاصيلي أبحث في دفاتري عن أصدقاء أخرج معهم حول فناجين قهوة ، تبدلت دون أن أسمح للعلاقة بيننا علي الفيس بوك أن تصبح أكثر من صباح خير وتصبح علي خير ، تهنئة في مناسبة ورأي في كلمة يكتبها ، حرصت علي أن تكون علاقتي مع هذا الحب الإفتراضي في النور، أكتب علي الصفحة مثلي مثل غيري ، بالطبع كنت أضع بدلا من صورتي صورة فاتن حمامة وبدلا من اسمي الاسم الحركي القديم عاشقة عاقلة .
لكن هذا لم يجعلني أنزلق في عباراتي أكثر من كلمات صغيرة أحرص عليها مرتين في اليوم لكنها كانت تجعلني سعيدة ، أشعر بنشوة وتحرك في قلبي حب من خيالاً ، علي الأقل تجعلني نضرة ، مبتسمة، شغوفة علي الاستيقاظ المبكر لأكتب له كلمة الصباح ، أمنع نفسي من المزيد، ولو كنت أريده ، لا كلمات أخري تجعلني في مرأة نفسي خائنة أو شيء من هذا ، ما حدث فجأة أن صفحته أغلقت ذات صباح، لم يعد له ولها وجود علي الفيس بوك ، بحثت بكل الأسماء وكل الاحتمالات.. دون عثور عليه ، لم أسأل نفسي من يومها ماذا حدث له ؟ كان همي الحقيقي ماذا حدث لي ؟ .. هل أحببته ؟ من هو حتي أحبه ؟ ومن أنا حتي أحب شخصاً أخر خيالاً لا أعرفه ؟ ثم هل أنا من الرخص أن أحب أحداً وأنا زوجة وأم لطفلتين يعلم الله كم أحبهما وكم أتحمل من أجل ألا يصبحان ضحايا تعاستي ؟
وكتبت لك ، وقلبي مثل بركان شظاياه تقتلني ، كتبت ولم أشعر بعد بالراحة التي وعدتني بها حين قلت إن الكتابة تقتل إحساسنا بالظلم والهزيمة وتحررنا من العقد والمشاكل التي نعيش بها ، .. وأن من يكتب قصته علي ورق .. يمكن أن يكتب لها نهاية .. ليبدأ في كتابة قصة جديدة من حياته ، سؤال أخير لك : لماذا يكذب المؤلفون علي القراء دائما .. ويكتبون علي الورق ما لا يتحقق في الواقع ؟!

امرأة خارقة علي عتبة الخوف

أنا قصة كاملة ، لك ما تتخيل أو تريد فيها ، كما كان يكتب علي أفيشات السينما في وسط البلد زمان : حب خيانة متعة جريمة عنف ، كل شيء عند عتبة قصتي قابل لأن تصدقه وتكتبه ، طفولتي عشتها في ملجأ لمن لا يملك بيتاً ، أماً وأباً وأشقاء ، مع أنني كنت أملك .. لكن أبي اختفي وتزوجت أمي من رجل زور لها أوراق وفاة أبي .. وكان لي أخ تاه في يوم ولم يعد .. وعلي الرغم من ذلك فأنا الآن زوجة رجل مهم ، أحبني من النظرة الأولي حين ألتقينا في مؤتمر سياحي في الغردقة ، وقررت الانفصال عن زوجي الذي يحمل الجنسية الأمريكية .. وأتزوج مرة ثالثة ، نسيت أن أقول لك إن زوجي الأول كان شاباً جامعياً فقيراً يعيش في بيت متواضع مع زملائه .

اعذرني ، ربما أنسي أشياء كثيرة وأنا أكتب لك فقصتي ليست طويلة، لكن كل يوم فيها : قصة عمر ، الآن لكي تعرف إلي ماذا وصلت : سيدة أعمال ثرية أعمل في السياحة والاستيراد والتصدير ، عمري إذا لزم الأمر فوق الأربعين ، إنني فخورة بحياتي المعقدة تماما ، التي كلما اقتربت من فك عقدة واحدة .. عقدت ألف عقدة أخري ، حياتي كانت – وما زالت– صعبة للغاية ، لكن عندما أنظر في المرآة كل يوم أبتسم أنني هذه الطفلة التي حرمت من كل شيء حتي حضن الأب

في ليلة عيد أو تسريحة شعري بمشط أمي ، أشتاق لهما علي الرغم من كل شيء ، أو أظن أنني أريد أن أري حنينهما لي دون أن أضعف وأرتمي في حضن أحدهما ، مررت بطفولة قاسية مهما حكيت ، كل ما أتمناه بقلب طفلة صغيرة .. لا أحصل عليه ، علي الرغم من أنه يكاد يكون لا شيء .. حتي ولو كان لقمة بقطعة جبن ، في يوم فتح باب العنبر الذي أسكن فيه مع خمسة وعشرين طفلة ، إلتقطتني سيدة متوسطة العمر ، كتبت تعهداً وأقسمت أن ترعاني في بيتها ، وكانت الله يرحمها سيدة حنون ، رأيت صورتي لأول مرة في مرآة غرفتها ، قالت لي : أنت طفلة جميلة ، وأخبرتني بعمري وهي تعلمني الحروف وتمشط شعري وتعد علي أصابعي سنواتي بحرص أم ، كنت في السابعة ، وكانت أرملة وحيدة زوجها كان مخرجاً معروفاً رحل دون أن ينجبا ، ففكرت في طفلة تؤنس وحدتها بعدما أقسمت ألا تتزوج مرة أخري ، كانت قصة شديدة الوفاء ، ماتت في ذكراه العاشرة تماما وهي بتمام صحتها، وكنت في السادسة عشرة من عمري ، ماتت بين ذراعي ، هكذا كنت قوية ، وكأنني أعرف ما هو شكل الموت ، حزنت دون ضعف ، وذبلت دون أن أموت معها ، كنت أريد أن اعيش ، طويت هذه الصفحة بسرعة ، هل هذه قسوة ، ماذا تتوقع من فتاة تبرأ منها أقرب الناس لها ! تركت لي بيتاً صغيراً ومبلغاً متواضعاً وسنة من الدراسة الجامعية وشقيقاً لها يغازلني ويفاجئني في البيت وأنا وحيدة ويهددني بالطرد والتزوير ، ونبتت أنوثتي بمكر ، وتعاملت معه بدهاء أنوثة مبكرة ، حتي ألقيت به في السجن بتهمة التحرش بفتاة قاصر ، كانت هذه هي أول عملية بيزنس ناجحة أقوم بها ، أكملت تعليمي بسرعة ، وكان لي طريقتي مع الأساتذة الذين تفوح رائحة رغباتهم في الطالبات عن بعد، حين تخرجت من الجامعة كنت قوية للغاية ، أنظر خلفي في سعادة علي كل هؤلاء الضحايا الذين سقطوا مني في

هذا العمر القصير ، وفي حزن علي أن قلبي الصغير لم يعرف الحب رغم حاجته ، كنت في حاجة الي رجل ، ولا أخفي بكل ما في الرجل ، ضله وقلبه وقوته وقبضته وقانونه الذي يعوضني ما فاتني من غياب الأب ، لهذا تزوجت للمرة الأولي شاباً أصغر مني بعام ، ووضعته في بيتي ، وخرجت أحارب الحياة بكل شراسة من أجل حقي ، كان من أبسط حقوقي التي أراها هي أن أفسد أي علاقة بين اثنين ، لماذا يصبحان في بيت واحد ، هذا ظلم لي ، ظلم لطفولتي ، أغير من أى بيت فيه أب و أم و أولاد ، معقولة تسألني لماذا أشعر بهذه الغيرة ، من غيري يشعر بمرارة سعادة بيت وأربع حيطان ولمة ، أبسط حقوقي أن أحطم كل صورة حب أمامي ، كل هذا دون أن أنسي الحصول علي حقي في النجاح في الفلوس في السلطة في إمتلاك كل ما ليس معي وكل ما يملكه غيري، كنت قد طلقت زوجي ، نسيت للمرة الثانية أن أقول لك إن العصمة كانت في يدي، وسافرت الي الغردقة ، المدينة الساحلية الصغيرة التي تطل علي البحر الأحمر ، قررت هناك أن أتوه فيها ، وأبدأ قصتي أو ضربتي ، ادعيت أنني أحمل لقب دكتوراه في الاقتصاد ، وأقمت في بيت صغير بكل مامعي ، وبدأت قصتي تنتشر في المدينة الصغيرة ، جميلة ودكتورة ووحيدة وفي نهاية أعوامها العشرين ، ماذا يطلب رجال هذه المدينة أكثر من ذلك ، رأيت أشكالاً وألواناً من الرجال، وحصلت بمجرد جلسة مع مسئول علي أراضٍ وبمجرد جلسة مع رجلٍ أعمال نصبح شركاء مشروعات سياحية ، كٍبرت .. تزوجت رجلاً أمريكياً شبه عجوز هارب من برودة بلده البعيدة ، حصلت منه علي أشياء لا بأس بها : شقة وقليل من المال وسيارة وجنسية ، كنت أريد أن أحمل كل مايجعلني امرأة خارقة قوية لا تهزم ، أسد كل النوافذ التي تجعلني ضعيفة أو قابلة للكسر أو الاستسلام ، تحولت إلي سيدة الغردقة التي يعمل لها الجميع ألف حساب ، ويطلبون

ودها حرص .. ورغبة ، قابلت زوجي الثالث والأخير حتي الآن ..
ولأنه رجل مهم ، كان يجب أن أقنعه أن أكون زوجته التي يأتي لها
إلي الغردقة بعيدا عن زوجته التي تعيش في القاهرة، أنا المرأة السرية
، التي أمده بالمتعة في مقابل أن أحتفظ بالسر، كان سهلا أن أهدده
بفضيحة .. ليطلقني دون أن تطول المناقشة ، لم أفوت الفرصة لتدمير
بيت زوجي الثالث ، هل أترك خلفي امرأة سعيدة وأولاد ينامون آخر
الليل في حضن عائلة ، كل شيء عندي سهل ، وسري أنني لا أبقي
علي أحد ولا علي شيء ، ومن لا يبقي علي شيء .. لاتقف عثرة في
طريقه أبداً .

حتي أمس ، لهذا كتبت لك ، كنت أتصور أن كل ما حققته هو
السعادة التي يجب أن يحصل عليها كل إنسان ، أن ينتقم من ماضيه
وكل من يشبهون ماضيه .. وأن ينجح في تحقيق كل ما يريد ، أما أمس
.. فقد حمل لي وحده ثلاثة صدمات قاسية ، الأولي حين عرفت أن أبي
يعمل عتالاً في إحدي شركاتي ، الثانية أن زوجي رفت من عمله وربما
تتم محاكمته ، الثالثة أنني مصابة بسرطان رحم في مرحلة متأخرة.

هل تري أنني أستحق ثلاث صدمات في يوم واحد .. هكذا . اقرأ ماكتبته
لك .. فهل تجد فيه ما تشفق به علي امرأة عاشت كل هذه المرارة ؟

هكذا النساء لا يفهمن بسرعة !

لا تفهمنى غلط !
أنا لا أخطف رجلاً من زوجته أبدا ، هذه ليست أخلاقى .. ولا حتى هدفى فى الحياة ، كما أننى لا أحب الرجل "السكندهاند" ، ولسبب لا أعرفه يحركنى شعور ممتع بأن ألعب دور البطولة بموهبة ممثل قدير وبراعة مؤلف مبدع .. فأتخفى فى ثياب عاشقة ولهانة ، أختار رجل يمثل على نفسه وعلى كل الناس السعادة الزوجية ، ويتصور المسكين أننى غارقة فى حبه ، فيسقط تحت قدمى مغرما بعد أول لقاء .. فأكشفه أمام زوجته تعيسة الحظ .. ويتم الطلاق فى هدوء يليق بالفضيحة !

قلت لك لا تفهمنى غلط .. أنا سعيدة بوحدتى ، سعيدة أكثر بأدوارى الصغيرة التى تملأ حياتى بالإثارة والمفاجآت ، سعيدة بنظرة المجتمع الجائعة تجاه أنوثتى ، سعيدة أننى أساعد كل زوجة على أن تكتشف زوجها الكذاب الخائن الذى يدعى البراءة أمامها ويلعب بذيله من ورائها .. يقتسم مشاعرها فى الليل ويحلم بغيرها أول النهار ، أنا أؤدى دوراً أجتماعياً لكل امرأة يجب أن تشكرنى عليه بدلا من أن تلومنى وتكرهنى بسببه ، أقدم لها الوجه الحقيقى للرجل الذى تأتمنه على حياتها وتمنحه نفسها، هذه خدمة مجانية لا أقبض عنها أجرا ، خدمة ترضى ضميرى ، لكن هكذا النساء .. لا يفهمن بسرعة ..

وغيرتهن قاتلة .. يقبلن العمى ولا يقبلن أن يضيع منهن رجل ويذهب إلى امرأة أخرى !
صدقنى ، هوايتى ليست خراب البيوت كما تتصور، وإن أخفيت بعض المتعة فى الوقت الذى أرى فيه زوجاً يتعذب من فراقى .. وزوجة تتعذب من فراقه ، إننى ألعب .. أتسلى .. الحياة بدون إثارة .. مثل بحر بدون موج ، صامت وساكن ، جمال البحر أنه غريق ونواته مثل الجنون تخطف فى كل لحظة إنساناً ، لو لم أكن امرأة مرموقة فى المجتمع.. بنت عائلة كبيرة وغنية .. كنت مشيت على الحبل فى السيرك ، كنت روضت أسوداً أو رقصت على الشوك .. وأكلت النار !

لكن الحياة التى صنعتها .. أمتع من السيرك ، الحيوانات مهما كانت مثيرة فى السيرك .. البشر أكثر إثارة فى الحياة ، ترويض رجل يجعلنى أبكى من المتعة .. والرقص فوق قلب امرأة محطم .. أجمل بكثير من تصفيق وإعجاب مئات الناس فى السيرك .

كل الناس تعرف عنى الآن أننى أحوم حول الرجال المتزوجين مثل نحلة .. حتى ألدغ ، ومع ذلك هم يدعوننى فى بيوتهم وفى حفلاتهم الخاصة وفى أفراحهم ، أنا ماليش دعوة . كيف أكسر خاطر إنسان ينتظرنى ؟ معقول ! أذهب حبلا معقودا جاهزا للانقضاض حول رقبة زوج غبى مثل لوح الثلج ، زوجته بجواره جميلة مثل زهرة .. ويلتهمنى بعينيه فى لامبالاة بمشاعر المرأة التى يضع خاتمها الفضى فى إصبعه ويده اليمنى فى يدها ، هل هذا رجل ؟ هذا يجب أن أضحك عليه قليلا وأعذبه قليلا وأجرجره قليلا وأجعله يرى نفسه الصغيرة بكل بجاحتها ، يستحق أن أسحق رجولته التى يفتخر بها كأنه ليس

فى الحياة إلا نهره وأشجاره ، يخترع حجة لزوجته فنلتقى فى الممر المؤدى إلى حمام أو نافذة ، يشعل سيجارتى دون أن أطلب ويعطينى بطاقته الخاصة دون أن أريد ، حركات مكشوفة وأفعال محروقة ، بسبب هؤلاء الرجال المساكين السذج لم أعد أشاهد أفلاماً عربية ، كل ثقافتهم مع المرأة الوحيدة أنها فى انتظار أى رجل عابر لتشكو له وحدتها ويطبطب عليها وتبدأ القصة المملة .
فى الممر يشكو لى عذابه ، أغلبهم يكذبون ويؤلفون قصصاً ملفقة عن أنانية زوجاتهم، وأجد فى مذكراتى عشرات الروايات المتشابهة التى يبدأون فى تلاوتها فى الممر بعد أن أخبرهم بأننى امرأة مطلقة ، هذه الصفة السحرية التى تغرى أى رجل ،." أشطة " يهمسون بها فأكاد أسمعها وهى كلمة تفسر سعادة لم تكن متوقعة ، مطلقة يعنى احتمالات طموحاتى بالزواج ضعيفة ، ومطلقة .. يعنى أننى لن أمانع فى مرحلة ما بعد الممر .

مالها زوجتك ، أتأملها ، أدقق فى كل تفاصيلها من فوقها لتحتها ، أتعمد أن أبتسم فى وجهها بعد العودة من الممر ، أرغب فى أن تعرفنى وتتعرف على المرأة التى ستكون سبب تعاستها ، المرأة التى ستجعلها تدور حول نفسها ، أنظر فى عينيها ، أنا أموت وأنظر فى عينى ضحيتى قبل أن أغرس السكين فى قلبها ، متعة متعة ، منتهى المتعة .
من فضلك ، لاتقل لقرائك عنى إنني مجنونة أو مخبولة أو مريضة ، أنا بكل قواى العقلية ، ولو قرأت رسالتى من البداية ستعرف أهدافى النبيلة وشرحتها لك ، عموما ليس هذا هو السبب الذى أكتب لك من أجله ، أكتب لك لأننى .. لأننى : أحب .
رجل .. أحببت رجلاً لم يكن " سكندهاند " وأنت تعلم أننى بسبب جمالى الخارق وثرائى الكبير لا أقبل أن أكون المرأة الثانية فى حياة

رجل مهما كان . قابلت هذا الرجل أيضا فى الممر ، كان فى طريقه إلى البلكونة وسارت كل سنواتى الثلاثين خلفه بدون مقاومة ، ولحقت به فى الممر فأشعلنى مع سيجارته ، لم يكن فى إصبعه خاتم زواج ، كما قدم نفسه لى أنه عازب وسعيد ، وكتمت أنفاسى وكان عابرا يقول لى متعمدا إن عمره عشرون عاما ، عشر سنوات تفصلنى عن أعوامه، لكن جمالى وثروتى وخبراتى السابقة .. تلغى السنوات ولو كانت مائة .

وأحببته ، أنا التى أحببت قلبى وهو يعذب .. جاء دوره لكى يتعذب . ووجدت أن عذاب الحب .. حلو قوى ، ناعم ، له نبضات لطيفة على القلب .

يا رب اغفر لى أخطائى ، يارب أنا أحب ، يارب اجعلنى أقاوم رغبتى فى كشف الرجال المتزوجين على حقيقتهم ، أنا الآن أحب .. ما يصحش، معقولة أكون بكل هذا الحب وأترك رجلاً يحكى لى أكاذيبه فى الممر، مستحيل، لو أقدر أعيد كل بيت سعيد كما كان قبل أن أحطمه .. لكن مستحيل ، أعرف أنه مستحيل ، فكرت أيضا أن أعترف لحبيبى ـ بجد حبيبى ـ بكل ما فعلت ، مرة أخرى لا تتهمنى بالعبط ، كنت سأحكى له .. لكن مع تعديل بعض المشاهد التى تجعلنى ضحية ، لم أكن أريد أن أعترف له ليستريح ضميرى ، فضميرى مرتاح وآخر تمام، لكن حتى لا يعرف من غيرى .. أولاد الحلال كثيرون .

وختاما يا كاتبى العزيز ، لم أعد فى حاجة لأى نصيحة منك .. أو تمثيلية أقوم بتمثيلها على الرجل الذى أحبه ، لقد اكتشفت ـ ولا تخف من صدمتى فأنا قوية ـ أنه كان مثلى: طعم فى سنارة .. التهمتها فى الممر.. بسذاجة ، كان اكثر من " سكندهاند " .. يعرف كل ليلة امرأة .. يوهمها بالحب والعشق .. قبل أن يعود إلى وحدته .. كان مثلى تماما ..

نسختي الأخرى التي عرفت كيف تنتقم مني .. وكنت أتمنى أن أستمر لوقت أكثر مخدوعة بحبه .

قلت لك من أول سطر : " لاتفهمني غلط " .. ومع ذلك فهمتني طوال قصتي لك "غلط " .. الله يسامحك !

نسيت أننى طفلتك وحبيبتك المفعوصة !

من قال إننى أكره زوجى ؟ !أنا فقط لا أحبه !
هكذا تزوجت ، قالت لى أمى وكنت فى عامى الأخير من الجامعة الأمريكية التى درست بها علم الاقتصاد : عندنا الليلة ضيوف لا تتأخرى ، ولأننى دائما لا أتأخر تأكدت أن فى الأمر شيئاً ، يصدق ظنى غالبا إلى درجة أتصور معها أننى أملك حاسة سادسة تطل على الأحداث قبل حدوثها ، أحاول أحيانا الآن أن أجد فى نفسى مزايا أعالج بها يأسى وإحباطى ، تعمدت أن أتأخر ، ساعة على الأقل ، قالت لى أختى الصغيرة فى رسالة قصيرة على تليفونى : فى بيتنا عريس .. مبروك !

وعدت إلى البيت أنفخ فى الهواء وأفرد أمامى " بوز شبرين "، ليست هذه هى الطريقة التى كنت أتصور أن أتزوج بها ، رجل وأمه وحقيبة سوداء منفوخة تلمع وقهوة وبدلة وشعر مقصوص حالا عند الحلاق وعشاء تفوح رائحته من المطبخ هذا المساء ودخان أبى وفستان أمى المنقوش بالورد الأحمر وهمس وكلمات تبدو كالكلمات بطيئة مملة، تلقيت رسالة أخرى على تليفونى من أختى وكنت أحبس نفسى فى غرفتى : عاجل من نونا لحبيبتها سارة : العريس اسمه أشرف ، فيللا فى القطامية وفيللا فى مارينا على البحر ومصنع والجاجور تحت البيت

، أكيد خطفتك وإنت طالعة مبروك عقبالى.
هى تفكر بطريقتها ، أنا لا ، أنا على الرغم من حبى للأرقام والنظريات..
لكني رومانسية أبكى لأهون سبب ، لطفل فقد لعبته أو لعجوز تعبر وحدها شارعاً مزدحماً ، والجامعة الأمريكية لم تجعلنى مهووسة بكنتاكى وبراد بيت ، ارتديت حجابى قانعة بقربى من الله ولو كنت بعيدة ، غطيت رأسى مرة أمام المرآة فبدوت أجمل .. وفاجأت الجميع ، فلماذا اليوم يفاجئنى الجميع أن فى الغرفة المجاورة عريس ، هجم فى هذه اللحظة سؤال عبيط : لماذا لم أحب ؟ لماذا أجلت الحب ولو كان لأصبحت الأن أنتظر فى غرفتى ملهوفة ، قرار أبى وزغرودة أمى وقرصة أختى نونا المجنونة ؟

حصل ونسيت أن فى سنوات الجامعة يصبح الحب كالبحر بعد شتاء طويل بارد .. أزرق حنون دافئاً مستعداً ، قالت لى أمى وهى تقتحم غرفتى فى تلك اللحظة تماما التى كدت أستسلم فيها لبكاء : معقولة.. قاعدة هنا والناس مستنية بره .. قومى أغسلى وشك وغيرى فستانك وحطى شوية أى حاجة على عنيكي ، معقولة .. أى معقولة .. من المفترض أن يقولها .. وناس .. أى ناس هؤلاء المنتظرين فى الصالون كأنهم فى مطار مزدحم ينصتون للنداء الأخير قبل إقلاع الطائرة المتجهة إلى الصين لشراء صندوق تحف مقلدة!
وجاء أبى ، طيب ويبلغ الستين عند منعطف الشهر التالى ، وقال لى من باب غرفتى: دلوقتى أقدر أطمن عليك .. عريس جدع وشارى وابن حلال وعيلة محترمة . مبروك يا بنتى على بركة الله .

ودخلت الصالون بلا صينية قهوة أو طبق الشيكولاته الكريستال ، من النظرة الأولى التى لم تكن أبداً خجولة منى ، رأيت شاباً أنيقاً

مبتسماً يجلس على طرف الكنبة فى ثقة وحياء .. وقلت بصوت أقسم لى زوجى بعدها بسنوات أنه سمعه : على بركة الله.
وتزوجنا ، أنا يا صديقى مقتنعة بالنصيب إذا صادف إنساناً فى الطريق، تزوجت لأن أبى قال لى فى نفس الليلة إنه سيموت بعد شهور قليلة .. فلماذا لا يفرح بى فى شهوره الأخيرة ؟ وبكيت طبعا .. جدا .. وقبلته وأختفيت فى صدره أنتفض وأقول : الأعمار بيد الله .. وليست بيد طبيب ، وقال : عايز أفرح .. وقلت : لكن ، قال : بتحبى ؟ ، قلت : أبدا .. لو حصل أقولك ، قال : كرهتيه ؟ ، قلت : لم أحبه ، قال : الحب بعد الزواج أقوى لأنه بالعقل والقلب ، قلت : كنت أتمنى أن أحب بقلبى فقط ، قال : هل أمامك فرصة للحب فى الجامعة ؟ ، قلت: آخر سؤال كنت أتوقع أن تسأله.. أنا مكسوفة منك ، قال : كنت أتمنى أن أكون أصغر عشرين سنة لنكون أصدقاء ، قلت : أنت صديقى يا رجل يا عجوز ، قال : أنا حبيبك يا مفعوصة .

هكذا أبى لو تعرفه.. سوف تعرف كم أحبه ، هذا الرجل الجميل المحب المخلص لنا ، الذى ضحى بكل شيء من أجل أن نتعلم أنا وأختى أفضل تعليم ، عبارته دائما : التعليم .. أهم من أى ثروة .
وتزوجت أشرف ، وخالف أبى توقعات الأطباء وعاش حتى أحتفلنا هذا الأسبوع بعامه السبعين ، و غنيت له ، و قبلنى ، و غنى لى ، وسألنى و هو جالس فى مقعده المتحرك بعيدا عن أطفالى الثلاثة وزوجى اشرف: حزينة ؟

وضحكت بنصف وجه فعرف أن الحزن عند المنتهى فقال : أنا السبب! فقلت : الظروف ، فقال : هل أشرف لا يحبك ، قلت : بالعكس .. يحبنى إلى درجة العشق ، قال : الحمد لله ، قلت : لكن كنت أتمنى أن

يكون الحب في حياتي أختياراً وليس قراراً ، قال : كل هذه السنوات . .
ولم تجدى في لهفته عليك حبا تعطيه له ، قلت : يبدو أن الحب اختراع
سرى لا يمكن تحضيره في بيت الزوجية ، قال : أصبحت فيلسوفة ،
قلت : من يومي . . نسيت أنني طفلتك وحبيبتك المفعوصة .

كان أشرف يعرف من يوم زواجنا الأول أنني لا أحبه ، بذل مجهوداً
خارقاً لكي أحبه، تحمل صمتي لأنه يعرف أنني طلعت نزلت محترمة . .
قد لا أحبه لكن لن أخونه ، لن أفكر حتى في أن أفكر في رجل سواه ،
حاولت أن أحبه . . حاولت ، وفشل القلب في إنتظار إحتمال الحب،
أنا بائسة لكنني لست يائسة ، كل صباح وأنا أصلي أطلب من الله
الحل، هناك حلول يؤجلها الله ووحده قادر عليها ، وأجملها أن أصحو
يوما فأجد أن في قلبي حبا رقيقا لزوجي .

فكرت في الطلاق . . ووجدته الحل السخيف الذى يمكن أن تلجأ له
إمرأة أنجبت ثلاثة، وأنا أعرف كثيرات أنجبن ثلاثة وأربعة وجاء الطلاق
سهلا ، أنا لا أريد الطلاق. ولا أريد حياة الملح والثلج التي أعيشها،
لا أنا مغرورة كما تقول صديقتي ولا أنا طيبة ومكسورة وبلهاء كما
تقول أمي ، أنا أبحث في عامي الثلاثين عن إحساس أفتقده ، مشاعر
أنتظرها في فيلم في السهرة أو في رواية أقضي معها الليل وحيدة في
ضوء خافت . . هذه أنا فلماذا ألمح في عيون قرائك دهشة وحيرة
وعبارات تتهمني بالأنانية ، من كانت مثلي وطوت قلبها من سنة
إلى سنة واعتادت حباً صنعته من عزلتها وقرارها ومصيرها الأخير . .
فلتنصحني ماذا أفعل ؟ كيف في المسافة بين الثلاثين والأربعين من
العمر تقتل امرأة قلبها دون أن يهتز لها قلب ؟

أنا لم أستطع أن أكون نونا المجنونة ، أختى التى طلقت مرتين بلا حب.. وفى الطريق إلى زواج ثالث عن عمد وسوف أكتب لك قصتها وسوف تموت من الضحك على فتاة تصف العشاق بالبلهاء وترى أن القلب مجرد مضخة دم وليس مكاناً أميناً نخبئ فيه الحب .. وأن الجسد وحده يحب .

هذه ليست فلسفتى .. أنا فاطمة التى تقف فى موسم بين الشتاء والربيع تطلب الدفء كما تطلب المطر .

أرفض ولو كان حب العمر !

غدا سوف أرد له دبلة الخطوبة ، سوف يضحك ساخرا من سذاجتي، سوف أقول له إننى هذه المرة فكرت جيدا وأن هذا قرارى الأخير، سوف يجذب يدى اليمنى ويحاول أن يعيد لى الدبلة المخلوعة ، وسوف أجذب يدى بشدة وأنا أتصنع الغضب وأقول له بصوت كالصراخ : " عيب .. إحنا فى مكان شغل .. زملائى يقولوا علينا إيه؟ " ، وسوف يمضغ نصف ابتسامة ويمثل اللامبالاة وهو يهمس : " كلهم عارفين إننا مخطوبين " ، وسوف احاول أن أنهى الحوار سريعا قبل أن أعود وأضعف حبا فيه : .. "كنا مخطوبين" ، وسوف يقول لى: "أعقلى " ، وسوف أقول له : "عقلت خلاص وصحيت وحسبتها.. إحنا ما ننفعش لبعض " ، وسوف يقول لى : " يا مجنونة " ، وسوف أقول له بكل غيظى : " أهو إنت " ، وسوف يقول لى : " مش إمبارح كنا بنتفق على تفاصيل الفرح " وسوف أقول له : " الدنيا بتتغير و الأيام بتعلم كل واحد الصح والغلط " ، وسوف يقول لى وهو يحاول أن يوهمنى أنه إنسان عاقل : " طب بس قولى لى إيه اللى مزعلك المرة ديه وأنا أصالحك وأفهمك وأعمل اللى يرضيك " ، وسوف أضعف وأهتز وأنقذ نفسى فى النفس الأخير وأقول له بجدية : " خلاص يا أحمد ما ينفعش .. إنت مش فتى أحلامى " وسوف يتركنى ويمضى وهو ينادينى النداء الأخير كأننى راكب تائه من طائرة على وشك

الإقلاع : " براحتك .. عندك فرصة لغاية بالليل .. سلام " .
وجاء الغد ، ولم أخلع دبلتى .. كذلك للأسف لم أخلع فكرة أن أخلع من هذا الشاب الذى أحبه وأكرهه فى الوقت نفسه ، مجنونة ؟ حتى أنت تقول مجنونة ، هو المجنون ، هو الذى يحب عمله بجنون ، حب يقلقنى، حب يقتلنى ، أنا أغار من هذا الحب الذى يمحونى ، يختصرنى، يجعلنى نقطة على حرف ، كيف أحب هذا الشاب الذى يحب العمل حتى أنه ينسى نفسه وينسانى ، يجلس أمام شاشة الكمبيوتر ويمضى يوم وليلة يشرب القهوة ويقطم السندويتشات فى نهم ، يصرخ من اللذة حين يصمم لقطة جرافيك كأنه كان يمضى الليل معى .. وليس مع ألوان وخيال ودخان وشاشة وريموت كونترول يخفض درجة حرارة الغرفة .

كيف أحب هذا الشاب الموهوب حتى الخطر ، أحيانا أطل على غرفته فى العمل فلا يشعر بوجودى .. بعطرى .. بحضورى .. بحرارتى المنبعثة من جسدى .. بلهفتى .. بشوقى .. وأبقى دقائق لعله يترك الماوس ويرفع عينيه عن مسافة الربع متر التى تفصله عن الشاشة.. وأمضى إلى غرفتى التى يفصلها عن غرفته حاجز خشب وزجاج ، أعود فى عينيى بدايات دموع ، أكلم نفسى والكمبيوتر ومج النسكافيه والأقلام الملونة والبلاك بيرى ، فأرسل له رسالة على الموبايل وأسمع صوت وصولها من مكتبه .. وهو ولا هو هنا ، لا يرد ، فإذا جاءت دقائق قصيرة للراحة نسى أن يعتذر ، وإكتفى أن يشرح لى خياله الكبير فى فيلمه القصير ، فى أيامنا الأولى كنت منبهرة بهذه الشخصية الخيالية التى من فرط خيالها تنسى كلمات الحب ، كنت أراه إنساناً مختلفاً جريئاً فى أفكاره مندفعاً فى أحلامه طموحاً فى عمله فارساً فى رجولته أستاذاً فى مهنته .. كان يطوينى كما يطوى الشخصيات التى يبتكرها

على شاشة الكمبيوتر ، كانت هوايتى الأولى أن أراقبه وهو يحول السيناريو المكتوب إلى صور ملونة .. كنت أتعلم منه رغم أننى أسبقه فى نفس المهنة ونفس الشركة التى نعمل بها .. كنت رغم تساوى العمر أبدو مثل أستاذته ، بمرور الوقت .. بدأت غيرتى، لا أتذكر تماما ما شكل اللحظة التى بدأت عندها غيرتى ، وبالطبع .. لم أفسر عندها هل أغير عليه من عمله .. أم أغير على عملى منه .. من نجاحه وموهبته وشطحاته وجنونه وطموحه وإصراره .. قرأنا الفاتحة فى وقت من كل هذه الأوقات .. وقت مبكر قبل أن تبدأ أفكارى فى عزف السيمفونية السابعة لبتهوفن ، قبل أن يبدأ الصراع بين أنوثتى وسطوته ، طموحى وموهبته ، قلبه الغارق فى عمله .. وعملى الغارق فى قلبه .

تبادلنا الدبلتين فى إجازة صيف .. كنا فى العجمى .. فاجتمعت العائلتان على عشاء فى مطعم سمك على البحر .. وأطلقت البنات زغاريد .. وأكملنا السهرة فى مارينا ، هل تذكر ليلتها التقينا معك هناك .. وأهديتنا كتاب الحب .. وفى طريق العودة إلى العجمى وكنت أقود السيارة الصغيرة بنفسى .. كان هو يقودنى إلى الجنون فى مراحله الأولى .. كان يشرح لى قصة فيلم جديد .. وكنت أسرع لعلنى أرتمى فوق فراشى وأحلم أحلاما سعيدة .

الآن ، جاء وقت اتهامك لى ، سوف تمسك لى اعترافا أننى بقدر ما أغار عليه من حبه لعمله .. أغار منه بسبب مهارته وموهبته التى تسبقنى حتما ، نعم .. أعترف لك أن فى القلب شيئاً مخيفاً كهذا .. خوف منه .. وخوف عليه ، إحساس متقلب بغيرة زميل قديم من زميل جديد يعلن تفوقه عليه . أنا أشبه صديقتى منى زكى التى تزوجت أحمد حلمى وهى تسبقه شهرة ونجومية وشعبية .. فسبقها ، فماذا ترك السباق فى

القلب ؟ على الرغم أنها ستظل النجمة المحبوبة والممثلة الموهوبة التى يحبها الجميع .

ماذا يترك تفوقه على أستاذته وكنت .. يوما كذلك ، هل سوف أنام بجواره وضميرى مرتاح ، هل أسبقه إلى المطبخ وأعد له الطعام بينما هو يعمل ويبدع ويبهر .. وأكون هكذا سعيدة ؟
هل أضحك على من ؟ على نفسى ؟ هذا زواج لا يجب أن يتم .. أنا أعرف نفسى .. غيورة .. أخفى حسدى من نجاح الآخرين فكيف لو كان الآخر هو شريكى فى العمل وفى البيت .
أنا أرفض هذا الحب ولو كان حب عمرى .. أرفض أن أتحول إلى ظل رجل فى نفس مهنتى .. أرفض أن أحتل طاولة فى إحتفال فنى فيصفقون له .. وأكتفى بأن أصفق معهم . وأنا .. هل أنسى أنا .. هل أنسى أصابعى المحترفة وموهبتى المحترقة وأتحول بالتدريج إلى زوجة لا فائدة منها سوى الغسيل والتنظيف وتسوية طرف الملاية على السرير .

يا أنت .. لست أنا الذى تجعلنى بالوقت أعتزل مهنة أحبها .. أنا أقدم منك .. أنا أفضل منك .. أنا أكثر موهبة منك .. أنتظر وسوف ترى .. هذه دبلتك .. لك .. إبحث عن غيرى تقبلها .. عن امرأة تساوى طموحها بالأرض من أجلك .. أنا أحبك .. مترددة فى أن أتركك لغيرى .. ولو تقول لى كلمة حب .. كلام حب .. خيال حب .. ربما .. ربما أفكر .. وأكتفى بأن أكون امرأة عظيمة خلف رجل عظيم .

يووووووه . لخبطتنى ، أرجع الدبلة ؟ أم أرجع له ؟ أرجع عنه ؟ أم أرجع الدبلة إلى إصبعى ؟ أرجع لعقلى ؟ أم أرجع له قلبى ؟

أنا مقسومة نصفين ، أطلب حمايته كرجل .. وأرغب فى أن أبارزه حتى يقتلنى .. وأستريح .. أحبه .. لكن أحب عملى مثله .. من قال إننى مجنونة ؟ هو قال .. وأنت قلت .. وأنا معك : أنا مجنونة بنت مجنونة.. لكن لست وحدى .. آلاف البنات مثلى .. والنساء أيضا وحياتك .. يعنى !

نصفى الذى لا أعرفه !

أنا نصف امرأة !
نصف فقط .. نصف جسد .. نصف يتكلم ونصف صامت .. نصف يتحرك ونصف عاجز .. نصف يعرف الحياة ونصف لا يعرف سوى الموت .
أنا نصف امرأة ، أرفع يدى إلى الله كل صباح وأقول سبحانك يارب، خلقتنى هكذا .. ليزداد إيمانى بك وحبى لك ، كنت قادرا على أن تخلقنى كاملة لكن إرادتك اختبرت صبرى ، فنجحت حتى عامى الثالث والعشرين أن أبدو صلبة، قوية ، قابلة للضحك والسعادة .

فى اليوم الأول من عامى الرابع والعشرين قابلت رجلا جعلنى أنظر لنصفى العاجز .. فأبكى ، أتأمل نصفى الذى أكتب لك به الآن ، أصابعى .. وجهى .. ضفيرة الأبرياء التى أحبها.. صدرى الناهد وإبتسامتى الخجول .. فأرتبك !
نصفان من الجسد لا ينتميان لبعضهما .. على الرغم أن الإثنين لامرأة واحدة : أنا !
ولا أعرف أيهما أنا ؟
أنا حتى أمس كنت النصف الشجاع الذى يفاجئ الناس بحبه للحياة، ورغبته فى البقاء بينهم دون خوف أو خجل من نظرة شفقة معتادة أو

كلمة عطف مكررة ، بالعكس .. كان مرحي يدهش الجميع وأولهم أنا ، كنت أسأل نفسي حين ألومها آخر الليل في غرفتي : ماهذا الهبل؟ كيف لفتاة لم تعرف منذ ولدت معنى المشي .. أن تخدع الناس بكل هذه الثقة التي أبدو بها ؟ كيف لفتاة ملمس قدميها بارد كثلج .. أن تصبح هكذا مشتعلة ، كنت أقول لنفسي في أوقات كثيرة لماذا لا أصبح ذكية فأستثمر ضعفي ونصفي العاجز في تسول مشاعر الناس؟!، هذا يمد يده لأقف .. هذه لأمشي .. وأخرى لأضع دموعي سخية ساخنة في كف يتألم مثلي .

يحتاج الإنسان وهو في كامل جسده وقتا من الضعف يجعل الناس تشفق عليه .. تسانده .. تحبه أكثر .. تدعو له .. تترك له مكانها دون أن يدخل في صراع أو انتظار، فلماذا أنا .. أنا ، لماذا لا أحب ضعفي ولو كان واقعي وحياتي .. لماذا لا أحب عجزي ولو كان حقيقتي وعمري .

حين بحثت في صوري القديمة اكتشفت صورة وعمري سنة .. سنة واحدة ، وكنت على البحر أبدو أنني أجري وراء موجة ، لا يصدق أحد أن الطفلة التي في الصورة هي أنا ، هي نفسها العاجزة منذ ولدت على أن تقف ولو بجوار حائط غرفتها .

هذا الإصرار الغريب على أن يغطي نصفي المتيقظ .. نصفي النائم ، كان أمرا خارج إرادتي ، بذلت كل جهدي لأبدو امرأة طبيعية لها ظرف خاص ، أضحك .. لكن أبكي أيضا ، أكسب .. لكن أهزم أيضا، أتقبل الأمر الواقع .. لكن دون أن أنسى أنني بالفعل لا أملك جسداً كاملا !

أعترف لك الآن .. أنني تعذبت برغبتي أن أبدو كأن شيئاً لم يكن ،

كانت أمي حتى يومها الأخير تحاول أن تخلصني من هذا العذاب ، كان لها عبارة لن أنساها : ابنتي .. منتهى الحزن .. ألا نحزن ، ابكي ، ثوري ، اغضبي ، تألمي ، .. أنا أتمنى أن تعيشي مائة سنة بنصف جسد.. على أن تموتي صغيرة وأنت بكل جسدك .

ولم أقتنع بكلام أمي.. ولم أرغب في الحقيقة أن أعيش مائة سنة من العجز .. مائة سنة .. كيف أتحمل التمثيل على الناس أنني سعيدة وقوية ولذيذة مائة سنة !

قلت لك قابلت رجلا أمس ، كان الرجل الأول الذى لم أشعر أمامه أنه يشفق على ضعفي ، كذلك لم يكن يسخر من قوتي ، يقدم لي أصابعه لأقف دون أن أشعر معها بخجل أو ذنب أو نقص ، له مشاعر طبيعية، لا يمثل ما يقوم به ، هل هذا رجل لا أتوقف أمامه ولو ليلة أفكر في رجولته؟!

سألت نفسي في هذه الليلة الأولى لماذا لم أفكر في الحب من قبل ؟ بسيطة .. كنت طبعا خائفة ، لو فكرت في الحب .. سوف أكشف نفسي ، ضعفي ، نصف جسدي العاجز ، لكن الليلة أفكر .. بمزاج.. بثقة.. بحب.. بأمل ، هذا رجل أحبه من أول نظرة ، أحبه ولا يهمني أن أقابله مرة ثانية أو لا أراه للأبد ، لقد عرفت معه أن في الدنيا ولو رجل واحد يمكن أن يتعامل مع نصف امرأة على أنها الدنيا كلها ، على أنها مكتملة الأنوثة ، على أنها رائعة مثل كل الأمواج المتتالية في بحر ديسمبر .

عندما ذهبت إلى حفل زفاف صديقتي ريم ، ارتديت بعفوية فستاناً أبيض ودخلت القاعة على مقعدي المتحرك وفي عيني سعادة صافية من القلب ، في نفس اللحظة كان هو هناك ، كأنه ينتظرني ، كأننا هنا من أجل أن نلتقي ولو ساعة ، فأحبه ويمضي ، وأعرف أن في قلبي ولو

أختبأ .. حباً يجعلني أبكى ، هذه ليلتي .. فهل من حقى أن أرقص كما العروس .. بفستاني الأبيض .. كيف يمكن لرجل ليس في الأصل ساحرا أقابله دون موعد فيقرأ أمنياتي الخفية .. فيمد لى يده فأقف من فوق مقعدى ، ويسحبني دون أن أشعر أنني عاجزة ، فأجد نفسي في منتصف دائرة الجميع فيها يرقص والعروس ترقص وأنا أرقص ، هذه فرحتي لا أدعيها .. رقصتي لا أمثلها .. نشوة السعادة لا أبذل مجهودا خارقا لكي أكونها .

أنا الآن أنا ، كما أنا ، كما يجب أن أكون أنا ، كما تمنت أمي أن أصبح أنا ، بكامل مشاعرى وإن كنت بنصف جسدى ، نصف يضحك ونصف يبكى ، نصف في السماء ونصف في الأرض ، نصف في الزحمة ونصف في الوحدة ، لكنهما .. أنا ، فلماذا حين أصبح في غرفتي في هذه الليلة .. لا أكتب لك رسالة طويلة أرفقها بصورى في الفرح وأنا عروس لليلة واحدة ، عروس كما تتألم تتمنى .. وكما تنتظر تصلي وتدعو الله أن يخفف عنها ، ربنا رحيم وجميل، ولن يتركني في هذه الوحدة القاسية ما تبقى لى من العمر ، لن يتركني طوال العمر أتعذب وأرتدى أقنعة مزيفة من القوة والضحك واللامبالاة ، لا أستطيع أن أصف لك ما أنا فيه ، بعد كل هذه السنوات الطويلة أجد نفسي التي كنت أهرب منها ، أجدها في رجل لم ألتق معه إلا من ساعات سوى ساعات ، ويقيني أننا لن نلتقى مرة أخرى ، ويقيني أنه لا يفكر الآن في نصف المرأة التي كان يرقص معها منذ قليل ، لا ألومه ، هل يلوم المحبون من علمهم الحب ، هل يلوم الشعراء خيالهم الذى يلهمهم القصائد ، هل يلوم الرسامون الزهور التي تذبل بعد أن يقتبسوا منها صورهم .

لا ألوم هذا الذى جاء ومضى دون أن أعرف حتى أول حرف من اسمه، الأجمل أننى أعرف طريقته حين يبتسم ، طريقته حين يتكلم ، طريقته حين يحرك قدميه مع الموسيقى وكأنهما قدماى .

هذا المجهول أعلاه .. قيدنى على لائحة الغائبين عن كل أعوامهم الماضية ، ذكرياتى بدأت حين أنهى التمثيلية التى كنت أمثلها على كل الناس بمبالغة مفضوحة .

أنا نصف امرأة ، ولا أدعى أكثر ، نصف امرأة تطل على أمنيات غامضة فى الحب، هذا رجل قال كلمته فأيقنت أن فى القلب مساحة شاسعة من خصوبة تنتظر إشارة بالحب ليست مستحيلة ، أنتظر وحين أكتب لك أجعل قراءك يشاركونى فرحة عمرى، وقصة ميلادى من جديد ، لا تخف لن أصحو غدا مكسورة من الإحباط أو اليأس ، فى كل صباح سوف أذكر نفسى أن حبيبى لعله يأتى الليلة .. فتكون هذه ليلتى .. ليلتى.

هل تقرأ مذكراتى حبيبى !

كتبت فى كراسة صغيرة تدون فيها عادة أفكارها العابرة أو خواطرها كما تؤرقها : ".. طلب منى اليوم أن أوافق على الزواج منه ، هل هو الشخص المناسب ، هل هو المنتظر ، رفضت الإرتباط ثلاث عشرة سنة، فلماذا أقبل بالزواج منه هكذا فى اليوم الثالث عشر من معرفتى به، لا أصدق أنه يحبنى كل هذا الحب الذى يجعله متشوقاً ليسمع منى موافقة سريعة على زواج ، ولا أنا أحبه هذا الحب الخاطف الذى لا أنام الليل بسببه ، ربما ما بيننا فى الأصل ليس حبا ، هو ماذا ؟ ..".

كتبت فى الصفحة التالية فى يوم يبعد عن صفحتها الأولى بخمسة أيام :.."... لا أريد أن أصدق أننى أغلقت تليفونى حتى لا يكرر طلبه بإلحاح ، لكننى أشتاق فعلا إليه ، مع أننى واثقة تماما أننى لا أحبه ، مؤكد أن ما أشعر به من إحساس برغبة فى لقائه هو شعور طبيعى لفراغ بنت تعيش من عملها إلى بيتها ، كان الخروج معه متعة لا أنكرها ، والحوار معه كان مسليا ، لا أنفى ، هو - ولن أسميه لعلنى يوما أنساه - رجل لطيف يهتم بالتفاصيل الصغيرة عنده وعندى ، هل كنت أتصور أن أتعرف إلى رجل يحافظ على رهافة لحيته إلى حد أنها لا تتغير ، يرتدى ألوانا متناسقة ، يبدو أن دولاب ملابسه منسق بشكل يجعل كل الأشياء فى متناول يده ، أنا أحسده على دقته فى كل شىء ،

خاصة في المواعيد ، هل جربت إحدي صديقاتي رجلاً يمنحها مواعيد بالدقيقة ، كان موعدى الأخير معه : أربعة إلا خمسة .. هاهاهاها .. ".

مر يوم واحد آخر فكتبت في نفس الصفحة : .. ".. فتحت تليفونى، ولم أتلق منه مكالمة ، غريبة ، هل نسينى إلى هذا الحد بهذه السرعة، أشتاق له ، هل قلت أشتاق ؟ أشتاق فعلا ، لماذا لا أشتاق قال لى دوغرى : نتزوج ! ، لم يقل لى إنه يحبنى ، واضح وصريح ، لو قال إنه يحبنى كنت عرفت أنه كذاب ، هو ليس كذلك ، هو حقيقى ، حقيقى إلى درجة الدقة ، كان فى حياتى سابقا رجلا راوغنى وعذبنى وحيرنى، ونطق بأنه يحبنى بعد أن قلتها له ، يومها كنت سعيدة ، الآن لماذا لا أكون سعيدة بشكل حقيقى ، فى حياتى رجل لا يكذب ، رجل لقطة، سوف أعرف قيمته بعد أن نتزوج ، لماذا لا أطلبه الآن وأقول له:
موافقة ، أقبل العرض ، ولا .. أستنى شوية ؟ .. أستنى شوية ... ".

مرت أربعة أيام فكتبت فى صفحة جديدة ، ونقشت فى هامش الصفحة قلباً : .. ".. لا بجد بقى ، أشتاق له ، مشتاقة لدرجة أننى لا أنام ، وهو لا يكلمنى ، وأنا لا أكلمه ، هو لابد أن يتكلم ، هذا عرض زواج وليس بقية أقساط شقة ، هل أكلمه فيعتقد أننى بايرة ونفسى أتزوج ، لماذا لا يتكلم هو ، هل صدمته ، هل أعتبر صمتى إجابة ، هل اعتقد إغلاق تليفونى رداً ، ممكن جدا ، يبقى لازم أتكلم أنا ، أسأل عليه ، مريض ؟ جايز مريض ، أتخيله فى فراشه بالبيجامة واهناً متعثراً نائماً ، لابد أنه سوف يكلمنى بعد أن يشفى ، لابد أنه سوف يعود ، أبدا لن أكلمه ، إذا كان يريدنى يتكلم هو ، إذا كان يريد أن يستكمل معى نصف عمرى القادم فليعرف أن خجلى منعنى من الرد ، عرفت منه أنه عضو فى نادٍ رياضى ، ويلعب التنس ، سوف أفاجئه وأكون

هناك .."

مر أسبوعان على مذكراتها الأولى وصفحتها الأولى فى الكراسة ، ورأت أن تكتب له بروفة رسالة على ورقة : .."..حبيبى ، لا تندهش أن أقول لك حبيبى ، فأنت حبيبى ، اكتشفت أنك بالفعل حبيبى ، فى غيابك آمنت بالحب من أول نظرة ، فى غيابك عرفت معنى حضورك ، تذكرت أشياء صغيرة كانت تجعلنى أنظر لك بتقدير دون أن أدرى من أى الأشياء معك أشعر بشىء مختلف ، أنت رجل مختلف ، رجل أحب أن أتم عمرى معه ، سوف أكون فخورة أن أرد على طلبك الزواج منى بكلمة نعم ، متأخرة ، لكن لابد أن تعلم أنها جاءت متأخرة لتصبح عن قناعة ، هذه الرسالة ليس عندى مانع أن تراها أمى ويقرأها أبى ، فقد كبرت ابنتهما وأصبح من حقها أن تقول لمن أحبت .. كلمتها ، لا مانع عندى الآن أن تتقدم للزواج بى على سنة الله ورسوله ، وأن نقيم فرحاً يصبح حديث المجتمع كله ، سوف أدعو صديقاتى ، وفى حفل الزفاف سوف أغنى لك ، حين تصلك رسالتى هذه ، ولا أعرف كيف أرسلها لك هكذا مكتوبة بخط يدى بحبر قلبى ، سوف أكون فى حاجة إلى أن أقول لك إننى لن أترك عملى فى المحاماة ، أنت رأيتنى أول مرة فى المحكمة أدافع عن مظلومين ، فلا تحرمنى من فضلك أن أواصل ، ويجب أن أقول لك أيضا ـ وهذه فرصة لأن هذا كلام لن أجرؤ أن أقوله وجها لوجه أمامك ـ أن عمرى خمسة وثلاثون عاما ، على الأقل أنت تعرف أننى فوق الثلاثين ، ولا أتصور أن عمرى سوف يسبب لرجل مثقف مثلك مشكلة ، أعتذر لأننى أطيل ، ولو تعرف أتمنى أن أكتب لك كل شىء عنى ، أريدك أن تعرفنى تماما حتى تقبل أن أعرفك تماما ، أنا أرغب فى أن أعيش معك بصفحة نقرأها عن ماضينا ثم نطويها ، تسقط سوابق العمر ، تسقط لنبدأ أحرارا عمراً

جديداً، مهما كان فى ماضيك ، أقول لك من الآن سوف أصدر لك عفوا عاما، أعذرنى بحكم المهنة أتكلم معك ، بالقانون ، وبمناسبة القانون كل ما أطلبه منك أن نضع فيما بيننا قانوناً ، قل دستوراً ، قبل أن نتزوج، يحكمنا العمر كله ، فلن ألجأ يوما لإنسان آخر مهما كان ليحكم بيننا، أبدا ، كيف يحكم إنسان بين إثنين حدث بينهما خلوة لا يشهد عليها أحد سواهما ، مشاعر ملتصقة بجسد واحد ، فكيف نطلب من ثالث أن يقول كلمته فينا ، إتفقنا ، أظن أننا اتفقنا ، أظن أن هذا الكلام يسعدك ، وسوف أسعدك ، أعرف أننى سوف أسعدك ، زوجة وصديقة ، سوف تقترب مني وأكثر ، وتعرف أن عرض زواجك كان هدية الله لى ولك .. إلى لقاء ...".

لم تنزع الصفحة ، لم ترسل رسالتها ، وبقيت صفحة فى مذكرات ، فى كراسة ، صفحة شاهدة على ذكرى جميلة مضت ، كانت اليوم فى ذكرى كتابة هذه الصفحة ، تقرأها بعد أن طوت عاما ، كانت وحيدة كما كانت ، ذابلة أكثر من توقعاتها ، وكان هناك على هاتفها رسالة لم تمحوها تقول : البقاء لله ..

مات زميلها فى العمل ، الوحيد الذى قال لها فى ثلاثة عشر يوما .. ما كانت تنتظره ثلاثة عشر عاما ، وأقسمت أن تبقى على حبه عمرها كله.. رجل حقيقى فمن أين تمنح الأيام رجلا آخر يقول الحقيقة ؟!

حتى أول أمس كنت أحلم !

أتمدد على كنبة عريضة في غرفة المعيشة ، أرتدى بيجامة منقوش عليها صور ميكي ماوس ، أمي فى المطبخ أسمعها تقلب "سكر" فى كوب شاى ، البرد قارص ، والتليفزيون يعرض مسلسلاً تركياً يزيد الطقس بردا ، بطل مثير وبطلة جميلة وبحر وموسيقى وورود ، هو أنا ناقصة بهدلة ، حب ومشاعر وقبلات مخطوفة بسبب مونتاج ، يسقط المونتاج، ولتظل أمي فى المطبخ حتى ينتهى البطل من كلام الحب الذى يهمس به فى أذن البطلة ، أسمع صوت أمي ينادى : " .. أجيب لك حتة تورتة مع الشاى "

أرد بسرعة حتى لا تتصور أننى غارقة فى لذة مشاعر أفتقدها : .. " ماشي ياست الكل .. تورتة " .

كان أمس عيد ميلادى الثلاثين على ذكر التورتة ، أرسلت لى صديقة على الفيس بوك تقول : .."..قفلتي التلاتين .. عقبال الأربعين " ، ووجدت مائة تعليق من أصدقاء ينعون فتاة جميلة مثلى لم تدخل دنيا ، مع أن نصفهم لم يدخل دنيا .

حتى أول أمس كنت أحلم ، كنت فى العشرينات من عمرى ، أكذب على ملامحى التى ازدادت خطوطها شخبطة وشحوبا وشعراً أبيض

متسللاً حتى من تحت الصبغة التى أداوم عليها بحجة الملل ودواعى التغيير ، شيء ما المجرح داخلى بمغادرتي أعوامى العشرينية ، حتى وإن أخفيت أرقام سنة ميلادى من بطاقتي .. فجسدى أطفأ دفئاً طفولياً وفورة مراهقتى وهو ينفخ فى شمعة عيد ميلادى.

جاءت أمي بالشاى فى مج عليه قلبان ، وضعته بين كفى لا أعرف هل ليسرى الدفء فى جسدى أم أخبئ صورة قلبين لا أملك إلا واحدا منهما فقط ، كم مرة تمنيت أن يصبح لى حبيب ، قلب أسهر على دقاته، قلب يجعل كيانى ينتفض وينقبض ويشعر بتلك اللذة التى تجعل للبنت خدوداً حمراء فى لون التفاح ، هل معنى ذلك أننى لم أحب أبدا ؟ .. أحببت .. كما أحب بطل المسلسل التركى الآن .. وأحببت زميلى فى المدرسة الثانوية .. وأحببت زميلى فى الجامعة .. كنت أحب فلا يشعر أحد بحبي وهو يتحول إلى دخان إلا أنا .. حب من طرف واحد .. قرأت مرة أنه حب .. المهم أننى أعرف كيف أحب .. لست عاجزة عن فهمه أو الإحساس به .. رغم أننى لم أجرب كيف يكون الحب من طرفين .. حباً متبادلاً .. إنسان آخر أرسل له رسائل وشيكولاتة وهدايا ملفوفة بورق عليه قلوب .. ويمنحنى تذكرة سينما وضوءاً يذهب ويعود نلمس فى غيابه أصابعنا الخمسة ونشعر أن هناك حلماً ناقصاً نحاول أن نحققه قبل مشهد النهاية ، ربما قبلة خاطفة لا يشعر بها إلا إثنان ، .. حب أغضب من صاحبه وأصرخ وأخاصمه وأنتظر أن يعود مبتلا بأشواقه .. وأود لو أضمه إلى صدرى كطفلى الذى أنتظره منه ..

سيرة الحب تجعلنى هشة ، كل شيء عندى قابل للكسر من كلمة ، نظرة أو أقل ، تجعل جسدى يرغب فى كيان أخبئه مثل كنز ثمين فى مكان معتم لا يصل له أحد ، أرتعش كما عصفورة مبللة بكل رغباتها فى

الطيران إلى شجرة آمنة .. تنزلق إلى عشب جاف وتنام .

نصحتنى صديقات أن أخرج من عزلتى التى فرضتها على نفسى منذ جلست فى البيت منقطعة عن العمل فى وظيفة عابرة .. قلت لأمى يومها حين عدت فى منتصف النهار : .."... مش رايحة الشغل تانى.. قاعدة فى البيت .." . ووشيت لها بزميل يكبرنى عمرا ، حاول أن يمد يده ويلمسنى .. مرة وأكثر ، ثم انفجر فى غيظ وهو يقول بكل صوته دون خجل أو خوف أو بعض حياء : .."... إنت فاكرة نفسك مين .. هو حد عايز يبصلك .. أنا بحاول أساعدك على اللى إنت فيه .." . هكذا .. قالها هكذا .. كأنه يلقى لغريق يصارع الموت طوق نجاة .. رجولة متكسرة رديئة منحرفة .. لماذا يتصور الرجال أن فتاة فى عمرى عزلتها الحياة عن حب تصبح صيدا سهلا للمسة أو علاقة مرهقة لمشاعرها .

صرخت أمى وطلبت القصاص وأقسمت بروح أبى أنها سوف تخلع أقدم حذاء عندها وتضرب به هذا العجوز ، وفعلتها .. والغريب أنه حرر لها محضراً فى قسم الشرطة مازالت تؤجل قضيته حتى الآن .

هل جمالى لا يكفى ليصنع لى رجلاً يحبنى ، لماذا إذن يتصور البعض أننى أشبه فاتن حمامة فى أيامها الحلوة ، هل ضاع زمنى كما زمن فاتن حمامة ؟
كانت أمى تقول لى دائما من يتزوجنى سوف يحصل على جوهرة ثمينة لم يكتشفها أحد غيره ، ومازلت ، تخاف أمى أن يلمسنى بشر ، تقول عن الرجال إنهم لصوص إذا لم ننتبه لنواياهم سرقوا كبرياء المرأة دون أن تهتز لهم عين .
برد الشاى فى يدى ، وتسلل القلبان على المج المنقوش إلى رغبة كنت

أكاد أنساها ، تصورت أنني بطلة المسلسل التركى فاشتعلت حواسى تنتظر المزيد ، استأذنت فى رغبتى فى النوم ، وطويت نفسى بين وسادتين ، وكنت أفكر هل يمكن أن أجد حبا حقيقيا بعد الثلاثين ، كم تمنيت أن يصبح لى بيت وزوج وطفل وعمر أرتبه بكل أيامه المربكة كيفما أشاء ، من هو الرجل الذى يأتى ليتزوج طفلة فى الثلاثين ، طفلة لا تعرف عن الحياة بين اثنين إلا أحلاماً مشوهة لا تنتهى نهاية سعيدة أبدا ، زمن الجواهر النادرة أزاحه زمن الصدف المغشوش والبلاستيك المطلى بألوان بشعة ، هذه الزخارف تلقى حظها من الإعجاب ، تعرف الاختيار والقبول والرفض ، معذبة لكنها تجيد أن تعذب غيرها ، أما أنا.. فمن أنا ؟ غير وجه قديم لا يثير حماسة أحد أن يتوقف عنده ، جوهرة لا يرغب أحد فى البحث عنها ، لم أجرب الحياة ولم يعد عندى جرأة أن أتغير من أجل أن أجربها ، قالت لى أمى : .."... فات زمن الندم .. استمتعى أنك مختلفة .. ولا تكرهينى فقد أحببتك أكثر من نفسى وحتما سوف يرسل الله من يستحقك .." . لكنى مخنوقة .. أنا الآن أبلل وجهى بدموع ساخنة .. وأجمع أشلاء فتاة انفجرت فى داخلها للتو رغبة فى حياة ...

حتى الأحد الماضى كنت أحب !

عمرى ٢٣ سنة ، هل يعنى هذا العمر لك أى شئ ، هل يعنى أننى فى بداية العمر أم فى آخر أيامه ، هل ٢٣ سنة فى حياة بنت مثلى تصلح نهاية مبكرة، تصورت أنها تأتى فى سنة بعيدة أطفئ عندها كل ما تبقى معى من نور ، بالمناسبة اسمى نور ، تخرجت فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، محجبة ،جميلة، ضئيلة الجسد أحب القراءة والسفر ، أحب البحر ورحلات السفارى لكى أختبئ فيها داخل خيمة صغيرة من كل الناس .. ومن نفسى ، أعود للأرض، للطبيعة للتفاصيل المفقودة التى أحبها حتى الخوف من فقدانها ، هل قدمت لك نفسى كما يجب ، هل قلت لك كلٍ شئ .. ولماذا أكتب لك الان ، أنا يا عزيزى أقدم لك بنتاً .. لاتفهم شيئا!

الحياة معقدة حاولت كثيرا أن أفهمها ، أن أفهم لماذا أصبح الناس فجأة مثل وحوش ، لهم قلوب قادرة على الظلم وعلى القسوة وعلى الخداع .. دون أن يهتز للقلب شريان أو نبضة ، دون أن ينزف أو ينتفض أو يتوقف ، لقد صدمت فى حياتى الصغيرة صدمات كادت تقتلنى .. لكننى قتلتها ومضيت ، من أقرب الناس لى ، من أكثرهم ضحكا فى وجهى وبراءة فى عينيى ، من أهل وأصدقاء ، لن أحكى لك التفاصيل فهذه ليست صدمة عامى الثالث والعشرين، التى

جعلتنى هنا على حبرك وورقك أكتب ما لم أفكر أبدا أن أبوح به لأحد، هل أقول لك إننى فكرت فى الإنتحار ، الآن أقول وأستغفر الله رب العالمين الرحمن الرحيم الذى عصمنى من هذا الخطأ ، هل قلت لك إن أبى رحل وكنت فى عامى الأخير من الجامعة . هل قلت لك إن عمى تزوج أمى ، هل قلت لك إنه سرق نصيبى فى الميراث بحيلة لم أتوقعها ولم تبكى أمى على دموعى ، هل قلت لك إننى أحب .. وهذا الحب هو الذى بسط يديه فحمل قلبى بين كفيه فخفف عنى الصدمات كأنها هبة ريح عابرة ، أحب .. حتى الأحد الماضى كنت أحب ، وإكتشفت فجأة صفحة على الفيس بوك تحمل صور حبيبى مع أعز صديقاتى . والاثنان زميلا أيام واحدة وأحلام واحدة فى الجامعة الأمريكية ، من سرق من هذه المرة؟ هو سرقها؟! .. هى سرقتنى؟! كل ما أعرفه أن الاثنين لصان. سرقا كل ما كان معى . كل ما تبقى معى من أمل!

طبعا أنا مندهشة .. مندهشة إلى درجة أننى أبدو صامدة فى صمتى.. هل تعرف شعور اللحظات الأولى حين يفقد الإنسان عزيزاً لديه ، لا يبكى لأنه يريد ألا يصدق ، كنت أريد ألا أصدق ، حين يناضل البعض بكل ضميره المثقوب المعيوب المعطل .. ليسرق مالاً . يبدو الأمر منطقياً بعض الشيء . الثروة فى كل أشكالها صراع الإنسان منذ خلق الله الأرض . حين يكافح إنسان ليسرق امرأة باسم الشرف أو الأمان أو الخوف من الزمن .. يمكن أن نجد مبرراً نخبئ تحته نظرات الشك وحالات الحيرة .

حين أجد نفسى فى هذا العمر الصغير مسروقة بكل معانى السرقة وأشكالها ، مسلوبة الثروة والأم والرجل الذى تصورته عمرى العمر كله .

أنا الآن أعيش مع أمي في بيت أبي الذى أصبح بيت زوج أمى ، ما هذه المرارة غير المحتملة التى أجدها فى فمى حين أكون مضطرة أن أقول له : صباح الخير . حين ينتظرنى فى المساء ليفتش في يومى ماذا فعلت ومن قابلت وكيف فكرت .. يفتش فى الساعات التى غبتها والأحلام التى أخبئها .. منتهى العذاب .. أن تفقد الأمان فجأة وتشعر أن ما كان معك منذ أعوام قليلة .. اختفى فجأة دون أن يمنحك وقتاً لتستعد.

هل هذه هى الحياة وأنا لا أعرف . كنت أدرس في الجامعة النظريات التى تجعل الحضارات تتدهور .. ولم أكن أدرى أننى سوف أصبح ضحية تدهور أخلاق البشر ، اخترت دراستى لأفهم البشر .. وغابت عنى أن النظريات شيء والواقع شيء .. الدراسة شيء والحياة شيء .. أن تفهم البشر شيء وأن تتعامل معهم شيء آخر !

اليوم أنا لاشيء .. أنا لا أملك من شهادتى إلا ورقة .. ومن أخلاقى إلا حجابى .. ومن قلبى إلا نبضاً ضعيفاً بالكاد يجعلنى على قيد الحياة .. ومن أحلامى إلا حلماً واحداً هو أن أنسى وأبدأ من جديد .

أفهم .. أننى كنت أحب ، وكان هذا الحب ـ حسب ما درست ـ هو التعويض الكافى عن أشياء خارج إرادتى فقدت منى ، مثل موت أبى وزواج أمى وسرقة ميراثى .. أما الحب .. أليس الحب هو ممتلكاتنا الخاصة التى نمارس فيها كل أمانينا دون أن نخشى فقدانها ، أليس الحب هو الاختيار الوحيد الذى لا يشاركنا فيه أحد .. أليس الحب أنا ومن أحب .. أنا وهو .. هو وقلبى .. قلبى وقلبه .. إثنان يومضان معا ويمطران معا .. أليس الحب قوة وضعفاً ومتعة وجرحاً ولعبة

وقتالاًوجسدين يتبادلان الأدوار من أجل أجمل ما في الحياة .

أنا لا أستحق ما حدث لى .. لا أستحق كل هذه الخيانات المتلاحقة .. كنت أستحق حياة أفضل .. واقعاً أقل مرارة وأكثر خوفا على مشاعر بنت صغيرة لم تتعلم الكذب بعد .. ولا أستحق أن أكون مجرد فتاة دماغ.. لا يعنيها ما يحدث حولها ولا تموت ولو مات كل الناس حولها.

في الجامعة كنت أرى بنات من هذا النوع وكنت أشفق عليهن من هذا الوجه البارد والقلب البارد .. اليوم أشفق على نفسى أننى لم أكن مثلهن .

كانت لورين مدرستى الأمريكية تهمس لى دائما : " نور .. دوغرى.. مش كويس علشان مستقبلك ! " . كنت أضحك أن للأمريكية السمينة التعيسة قلباً مرهفاً على فتاة تتعلم فى جامعتهم ولا تكف عن السخرية منها.. لكنى كنت أحب لورين رغم كل شيء.. وكتبت لها قبلك أطلب مساعدتها .. ووصلنى منها الآن إيميل أنها وافقت على مساعدتى للسفر إلى أمريكا ، سوف أسافر لعلى فى السفر أجد ما فقدته هنا ، أجد غربة اشتاق بها إلى نفسى ، أزرع حياتى فى بلاد بعيدة وحدى .. فأعود إما سحابة صيف تمطر لبعض الوقت فى فرح طفولى.. أو لا أعود .

أقول لك الحقيقة .. أريد أن أعود ، لأنتقم .. لا تضحك هكذا ، داخلى حزن على نفسى لا يكفيه حتى الإنتقام ، لا تنصحنى كعادتك أن أغلق صفحة وأفتح غيرها ، هذه السهولة التى يكتب بها المؤلفون لا توفر حياة ولا تشفى ألماً ولا تغسل مشاعر مبللة بالدم والملح .

لاتنصحني لأنني لن أستمع إلى أحد إلا أنا ، أنا فقط التي أعرف ماذا أريد الأن ، أنا المذبوحة من كل الناس ، أنا الحائرة الحزينة التي من غبائها وسذاجتها صدقت في يوم أن الحياة جميلة وأن الناس أجمل ، لماذا أكتب لك إذا كنت لن أسمع منك كلمة أو نصيحة ، أكتب لك.. لتكتب عني ، تكتب عن فتاة كرهت كل الناس،لأنها كانت تحب كل الناس ، لتكتب لفتيات يبتسمن في سعادة .. وتقول لهن إن الحياة تعيسة ، أنت أيضا ياعزيزى خدعتنى عندما كنت أقرأ لك وأنت تمنح قراءك أملاً لاوجود له .. وسعادة لا مكان لها على وجه الحياة .. وحباً طاهراً شفافاً لا يخلق إلا على ورق .

سوف أعود في يوم ما وأنتقم منك أنت أيضا .. ربما أقتلك !

خصلة شعر بيضاء في عامي الثلاثين

الآن لا أعرف هل يجب أن أشعر بالندم ، كنت أحبه ومازلت ، رغم فارق العمر الفاصل بيننا ، عشرون عاما .. هل تتصور حبا يمكن أن يعيش أو حتى يبدأ وفارق العمر عشرون عاما ، سوف أحكي لك قصتي وتحكم ، كان يوما من أيام الصيف الطويلة المبللة بالملح والعرق .. رأيته في المساء يجلس على البحر في العجمي بنصف ملابسه ، يتأمل عتمة البحر وحده ، على الرمل كتاب مفتوح وعلب سجائر فارغة وورق وجيتار وعلبة مليئة بألوان وفرشاة وقدميه حافيتين مغروزتين في ضله، يشبه حسين فهمي وربما رأيته أجمل ، وأنا مفتونة بهذا العمر الذى يساوى عمرى مرتين ، كنت في عامي الواحد والعشرين ، مهووسة بالمتعة ، أضاعف جمالى المتواضع بأنوثة مصطنعة وإنفتاح على الأخرين يشبه الوقاحة أحيانا ، هذا الرجل أراه كل يوم هنا ، في الليل حتى الفجر ، يرسم ويعزف ويشرب ويتكلم كثيرا مع نفسه ، يصنع سحابة داكنة من دخان كثيف بسجائره ويختبىء من صخب العجمي خلفه، متى أحببته ؟ في اليوم العاشر من الصيف الذى بدأ بإجازة مع أمي وأصدقاء ، أتسلل كل ليلة لأجلس خلفه تماما وأضواء شاطئ آخر بعيدة تملأ عيني ، أتأمل هذا الرجل الذى يشبه صور أبي الذى لم أره في حياتي ، قالت لى أمي مرة إنه سافر ولم يعد ، ربما مات ، قلبي يقول إنه سوف يعود يوما ويحتضن طفلته ويلعب معها ويمنحها

هدايا الأطفال وحلوى من التى أعشقها ، تقدمت منه فى ليلة سائرة بدهشة على حافة رمل ، جلست بجواره وهو يرسم صوراً جميلة من خياله ، لم ينزعج من رؤيتى، فى اليوم التالى كان يرسمنى ، وفى أيام تالية انضم إلى جلستنا تقرأ له أمى فنجان قهوته ، لم ينتهى الصيف إلا وتزوجنا فى العجمى فى حفل بسيط على الشاطئ ، الغريب أن أمى لم تعترض حين عرض عليها طلبه بالزواج منى ، هذا سؤال يحيرنى حتى اليوم دون أن أتوقف لأسألها لماذا ، كنت سعيدة بهذا الحب المفاجئ الذى جعل جسدى النحيل يتحوّل إلى جسد ممتلئ بكل ماهو لذيذ فى الحياة، أحببت هذا الرجل فى كل أوقاته ، مفاجآته المدهشة فى صباح مبكر وأنا مازلت غارقة فى نومى ، تفاصيله الصغيرة التى تجعلنى أختبئ مثل قط جائع بين ذراعيه ، الآن أسأل : هل كان يقدم لى نفسه كما هى أم أنه يعوض فارق سنوات العمر بتلك الدهشة التى يتركها على ملامحى ، أحببته أكثر ، لم أفكر مرة فى عدد السنوات التى تفصلنا ، لم أتوقف مرة فى لحظاتنا الحميمية لأتأمل جسده وقد بدت عليه خشونة وإنهيار رغم كل ما يبذله من جهد ليرضى طفلته التى تتعلم ، كان مبدعا فى كل شىء ، كلماته التى يتركها لى على نافذة غرفتنا أو باب ثلاجة المطبخ تبدو مثل جرة قلم تعيدنى إلى أول القصة ، له خبرة عميقة فى معاملة النساء لعله إكتسبها من زواجه الأول الذى أنجب منه شابة صغيرة أسبقها بعامين من عمرى ، أحيانا كنت أغار منها ، هذا أبى أنا وليس هى ، ومع ذلك أحببت هذه الصغيرة التى كانت تلقنى دروسا مهمة فى معاملة مزاج أبيها ، وأنجبت طفلتين ، سعادة الدنيا بهما ، إلتصقت بعمرهما الصغير ، كلما مر يوم أحببت أمومتى أكثر ، لم تعد مفاجآت زوجى سر دهشتى أو سعادتى ، تحول قلبى إلى تفاصيلهما الصغيرة ، لا أعرف لماذا فى هذا التوقيت بدأت أفكر فى سؤال يأتى مثل زائر غامض ويرحل : لماذا تزوجت هذا الرجل ؟

بفارق عمره ، بأنانيته التى لا يجيد وضعها فى مكان سرى ، بسنواته التى ظهرت عجزا عن اللعب أو مجرد إحتمال نزوات طفلتيه ، بين حين وآخر يأتى كما سنواتنا الأولى فى صباح مبكر ويفاجئنى بجسد أكثر خشونة ، لكنها مشاعر دفنتها الأيام مهما حاولت البحث عنها ، ظل احتفالنا بذكرى زواجنا فى نفس المكان بالعجمي سنة بعد سنة ، فى العام العاشر ترك لى فرصة أن أذهب إلى العجمى وحدى وطفلتى ، لا أفهم لماذا كنت سعيدة بهذه الحرية ، سافرت دون بكاء معتاد ، فى منتصف الطريق هاجمنى سؤال غريب : هل هذه الإجازة تصلح تجربة لفكرة أن أعيش بدون هذا الرجل ما تبقى لى من العمر ؟.

كان السؤال غريباً لأننى حتى هذه اللحظة لم أفكر مرة فى الانفصال عنه ، حين فتشت داخلى إكتشفت ماهو أخطر ، أننى مازلت أحبه ولو ذهبت الدهشة واللهفة والدفء الذى كان يمنحه لى وأنا نائمة كطفلته فى حضنه ، خفت فقط من السؤال لأننى أعرف عن نفسى أننى أشعر بأشياء قبل حدوثها ، أملك أحاسيس تقرأ الأيام القادمة ، خفت قليلا لكن ليل العجمي وبحره وصخبه وطفلتين أكبرهما فى العاشرة على حافة مراهقة .. أشياء تفقدنى الذاكرة ، كانت طفلتى الأولى تسألنى كل يوم تقريبا وأنا أدخن سيجارة تحت شمسية وأقرأ مجلة فرنسية : ماما يعنى إيه حب ؟ ماما لماذا يتزوج رجل وامرأة ؟ ماما متى تشعر البنت بالحب ؟ .. هذه المراهقة الصغيرة أرد عليها بإجابات قصيرة وإبتسامة لا أخفى فيها بعض إعجابى بإبنتى التى كبرت ، بدأت تخفى عنى أشياءها ، وتختفى لبعض وقت وتظهر ، وفى الليل كنت أفضل أن أنفرد بنفسى على البحر ، أتأمل من نفس العتمة عمرى الذى ضاع فى حب لا أعرف الآن هل كان يساوى هذا الثمن ، من نفس العتمة كنت أتصور شابا فى سنواتى الثلاثين يسير على أطراف أصابعه على

رمل ناعم ويفاجئنى بشىء من حب طازج ، له جسد مشدود وعينان فيهما بريق يسهر حتى الصباح دون نعاس ، وأتحدث إلى نفسى عن جنونى ، وأسألها : هل أصابتك عدوى المراهق من ابنتك الصغيرة ؟
وفى يوم ظهر لى على الفيس بوك شاب أسمر أكرت الشعر فى عينيه بريق يطلب منى أن أضيفه صديقا ، وأضفته دون تردد ، أقسم أننى لم أعرفه ، أضفته برغبة خفية فى عبث عابر ، وأصبحنا أكثر من أصدقاء، يكتب لى وأكتب له ، يكلمنى وأكلمه ، أراه عبر كاميرا اللاب توب ويرانى ، كان أصغر منى بعشر سنوات على الأقل ، يعيش فى مدينة جنوبية بعيدة ، هل أحببته ؟ سؤال يبدو سهلا على الورق ، إجابته تعنى وماذا بعد ، قال لى فى رسالة أخيرة أنه سوف يأتى إلى القاهرة خلال أيام لنلتقى ، فهرب الدم من قلبى ، أحسست للمرة الأولى بخجلى وسقوطى ، هل غررت بطفل ليحبنى ، وهل خنت زوجى وطفلتى ؟ ... تمنيت فى هذه اللحظة تماما أن يعود أبى الغائب فأبكى على كتفه الأيمن وأحكى له ماأنا فيه ، سنواتى الماضية التى دفعتها ثمنا لغيابه ، وسنواتى القادمة التى أخشى أن أمضى بها فى صحبة رجل عجوز أصبح له جلد أصفر ويترك أثرا بصبغته على فساتين نومى البيضاء ويطلب منى كثيرا أن أدلك له ظهره ، اكتشفت صباح اليوم فقط خصلة شعر بيضاء فى رأسى .. ومع ذلك هذا قرارى الأخير : ألغيت صفحتى على الفيس بوك ، ونقلت دولاب ملابسى إلى غرفة طفلتى ، وليحدث فى العمر القادم ما يحدث .

زوج مسكين يا حرام !

أكتب لك بعد أن قدمت استقالتى !
أمس قررت ، وفى السابعة صباحا وقت رنة الجرس على باب بيت " المدام " .. تركت لها على تليفونها المحمول رسالة قصيرة : " .. أعذرينى يا مدام .. أنا مستقيلة من الشغل .. تقدرى تشوفى حد غيرى .. من النهارده رجعت أكمل دراستى .. مع السلامة يا مدام .. ملحوظة : النص شهر اللى لية عندك ممكن تشحنى لى رصيد على موبايلى ".

أخيرا أسترحت .. يااااه ، استرحت من كنس الأرض ومسحها وكسرة النفس ومرمطة كل فجر فى الأوتوبيسات حتى أرن جرس باب بيت المدام بالدقيقة والثانية ، هى لا تستطيع أن توجه لى نص كلمة لو تأخرت .. لكن أنا أحترم نفسى ، طبعا عرفت من أول سطر أننى أعمل شغالة .. خادمة فى البيوت ، كم سنة وأنا أتنقل من باب لباب ومن بيت لبيت .. خمسة ستة سبعة ، وكل بيت شهر اثنين ثلاثة .. أبدا لم أجلس أكثر من ذلك ، لكن فى بيت المدام .. جلست سنة ، كانت أجمل سنة وأصعب سنة ، بدأت معها صديقتين .. صدقنى صديقتين .. أنا والمدام صديقتان .. لا تشرب الشاى إلا من يدى .. لا تفطر إلا عندما أختار لها من الثلاجة قطعة الجبن وملعقة العسل والمربى .. فنجان القهوة أقرأه لها نقطة نقطة .. ولا أمد يدى فى حوض أو فى شباك أو

أرض إلا بعد أن أحكى لها كل القصص التى عرفتها عن جيرانها .. لما كانت القصص بتخلص .. كنت أخترع لها ، ونضحك.. كانت لطيفة .. كنت أتصور أنها لطيفة .. ثم ظهرت على حقيقتها بعد أن أصبحت تسدد لى أقساط الجمعية فوق المرتب .. تصورت أننى أصبحت من ممتلكاتها .. تصرخ على أهون سبب .. وتغضب من أقل هفوة .. وأنا فى الأول وفى الآخر بنى آدم .. عندى دم وعندى كرامة وعندى الضغط مثلها تماما ..

وقررت أن أنتقم منها .. كانت الخطة بسيطة : صمت تام . مافيش قصص .. مافيش كلام فى سيرة الناس.. مافيش فطار ولا قهوة ولا أعرف أقرأ " فنجان " !
لكنها .. لم تهتز ، ظلت على موقفها منى .. فقررت أن ألعب معها لعبة مشهورة بين الشغالات .. كنت أخفى أشياء ثمينة من البيت .. وعندما تسأل عنها وهى تصرخ كنت أنهمك فى البحث عنها .. حتى أجدها لها .. فتعرف أننى " عينى مليانة ومش بتاعة الكلام ده " .

ثم طلعت فى دماغى أكمل دراستى .. أنا يا حضرة ليسانس أداب وكان عندى أمل أكمل دراسات عليا وأناقش ماجستير .. وهم يعنى أصحاب الشهادات زيادة عنى فى إيه ؟

وحتى أضرب عصفورين بحجر .. طلبت مساعدة الدكتور زوج المدام.. وهو رجل فى حاله من البيت للكلية ومن الكلية للبيت .. يهمس إذا تكلم ويسكت إذا صرخت المدام .. وواضح من أول يوم فى الشغل إن الكلمة فى البيت .. كلمتها ، وعملت فنجان قهوة للدكتور.. وفتحت باب الموضوع بدون لف أو دوران .. وبصوت

جعل المدام تأتي من غرفتها بسرعة تسأل السؤال المعتاد : بتعملى إيه هنا يا بنت ؟ .. يا كرامتى المجروحة .. مدام محترمة فى عصر الجيل الرابع من التليفونات المحمولة تقول لخادمتها الشريفة العفيفة المحترمة: يا بنت ! وبلعتها .. لكن قررت فى الأيام التالية " أجر ناعم مع البيه الدكتور".. دخلت مزاجى اللعبة .. ثم بنظرة لها معنى أدركت إنه يا مسكين محروم.. أستغفر الله على أى إنسان يظن عنى ظن سيئ .. إذا كنت لا أمد يدى لملعقة سكر من المطبخ بدون علم المدام .. هل أمد يدى لزوج المدام نفسه ؟

بعد قليل من التفكير .. قلت فى هتاف أنثوى ساحر لايفهمه أحد غيرى : وماله . إذا كان على سنة الله ورسوله .. إيه العيب فى كده..هو دكتور وأنا كلها خطوتين وأحصله .. هو متزوج وتعيس .. وأنا عزباء ووحيدة ..هو عنده خمسين سنة يعنى أكبر منى بخمسة وعشرين سنة وأصلع وبنظارة.. وأنا شابة ومتعلمة وعندى خدود وردية من غير لا قرص ولا لون وبيضاء وحلوة وليس فى كعب رجلى شق واحد ! فلماذا لا أتزوجه ؟ كده مرة واحدة فكرت .. هذا بيت واسع كبير له أربع غرف .. وصل النور بإسم الدكتور و ليس له لا ولد ولا بنت ، وكنت أشرب شاى الساعة واحدة الظهر فى المطبخ حسب نصيبى فى الأكل والشرب .. عندما لمعت فى ذهنى هذه الفكرة .. وأقولك : " قلت لو المدام معندهاش مانع .. هى تقعد فى أوضة وأنا فى أوضة .. البيت كبير وواسع ويستحملنا إحنا الإتنين " .
ودخلت المدام المطبخ .. وشخطت وشعرت للحظة أنها قرأت أفكارى.. وعرفت فى ماذا أفكر .. وكدت أقول لها من الخوف والله يا ست هانم بأخرف .. وحياة أمى ما كان قصدى .. ثم تراجعت عن الإعتراف الذى هو سيد الأدلة وقلت فى نفسى : حقى .. أحلم كما

أريد .. حتى الأحلام فى البلد دى ممنوعة .

وواصلت فى الأيام التالية خطتى لعل وعسى .. لعلنى أغيظ الست وأسرق الرجلٍ .. فى هذا الزمن كل شيء جايز .. أنا أعرف خادمة تزوجت وزيراً وأصبحت سيدة مجتمع أرى صورها فى المجلات ترتدى ألماساً "وكتف عارى" .. لا أعرف سر حبها فى الألماس والكتف العارى .. لعل عندها عقدة لا أعرفها ، وهناك مطربة معروفة كانت زميلتى فى كار الشغالات .. وكنت أكثر منها خبرة فى بيت سيدة ثرية فى المعادى ، وأنا اخترت أن أتزوج على أن أغنى .. على الرغم أن صوتى حلو .. لكن مش ناقصة تعب .. عايزة أرتاح بقى من كسرة الوسط وهدة الحيل .. عايزة أبقى أم .. عايزة بنت زى القمر لما توعى وتفهم ما حدش أبدا يفكرها إن أمها كانت بتشتغل شغالة فى البيوت .. توطى وتمسح وتلم أكلها فى صرة وهى مروحة .. من حقى أن أحلم .. من حقى أن يكون عندى طموح فى تغيير حياتى .. وشهادة الليسانس التى أضعها فى برواز على عتبة البيت فى إمبابة لا تساوى حبرها .. ولا تحقق حلماً أو طموحاً .. ولا حتى تأتى بعريس لقطة حتى باب البيت .. من صنف الشهادات المكتوبة أعلاه آلاف فى شارعنا القديم الفقير المعدم .. ويا دوب أصحابها إما عاطلين على النواصى أو عمال بيومية فى محل أو مصنع .

يا خبر أبيض .. حكيت لك كل ده ليه ؟ .. علشان أنصحك تنصحنى أعمل فيها فاتن حمامة فى أفواه وأرانب وأحب البيه الدكتور .. ولو فعلت : هل يحبنى هو ؟ مثله .. لا يحب إلا جلاده .. يختشى من ضعفه ومن صمته ويكتفى بالمشى جنب حيط الهانم .. يكتم غيظه ورغباته ويدفن عمره وسنواته ويبكى عندما يغلق عليه باب الحمام..

المكان الوحيد الذى لا تطوله فيه يد المدام وقراراتها الصارمة .. أنا أثق في أنه يبكى هناك .. خلف هذا الباب أكاد أسمع دموعه تصطدم بالسيراميك .. وأكاد أحلف أنه يحبنى كما أحببته .. نسيت أقول لك إننى أحببته .. أحبه .. أفكر فيه .. وأكتب له رسائل غرامية أرسلها على تليفونه من رقم تليفون لا يعرف أحد أنه تليفونى .. أرسل الرسالة من المطبخ وأموت وأشوفه وهو يفتحها فى غرفة مكتبه كأنه عاشق مشتاق .. يقرأها أمامى مرة وأثنتين .. وألمح عينيه ترتجفان وقلبه ينتفض والسعادة تكاد تجعله يطير وهو يمسح بيده على رأسه الأصلع .. ولا يصدق .

هل يعرف أنها : أنا ، أنا التى أقول له " كلما رأيتك أشعر أن جسدى يناديك .. لكى نصبح معا عالماً واحداً ".

لا ، لم تعرف المدام أننى أخونها .. لكنها ضبطتنى وأنا أكتب رسالة غرامية ساخنة .. فطردتنى أنا والسائق .. لماذا يظن أصحاب البيوت دائما أن علاقات الحب لاتنشأ إلا بين الخادمة والسائق .. ولماذا يتحمل السائق أحيانا ذنب حب الخادمة .. للبيه !
لذلك كله .. قدمت استقالة مسببة للمدام فى اليوم التالى .. وتركت لها التليفون الآخر فى المطبخ على أمل أن تفتش فى رسائلى وتتعرف على رقم تليفون " البيه الدكتور " .. الذى لم يدافع عنى وهو يسمعها تطردنى .. الحمد لله أننى لم أتزوج هذا الرجل الذى لا يملك كلمة فى بيته ..!

دماء وردية في جسد جاف !

أحب هذا الطفل الذى تزوجته أخيرا ، أشعر معه بأن زمنى يعود ، سنواتى تختصر إلى نصفها وأكثر ، لا أهتم بما تقوله النساء حولى ، يقلن: عجوز وخرفت، وأشعر بإحساس امرأة جربت الحياة على كل ألوانها إنهن يخفين غيرة عمياء من حريتى وتصرفاتى وقراراتى التى تصدم الجميع بجرأة.

قضيت معه شهر عسل فى جزيرة بالقرب من اليونان ، فتدفقت فى الشعيرات الدقيقة التى كانت زرقاء حول عنقى وأصابع يدى دماء وحيوية ، أنا امرأة تحب الحياة ، أنانية إلى أبعد الحدود ، لا أحب إلا أنا ، حتى اسألوا كل أولادى من كل زوج تركته خلفى ، عندى أولاد فى عمر الزهور وأولاد فى عمر شجر الصبار، لن أقول لك عمرى، فأنا أصغر بكثير من سنواتى، أدلع نفسى على حساب أى شيء يمر بى مهما كان ، حتى لو كانت ابنتى .. هل قلت لك ابنتى ؟ هذه نقطة ضعفى التى لاأعرف كيف أداويها ، فرحة .. اسمها فرحة وكانت ، عمرها من عمر زواجى قبل الأخير ، سنواتها العشر تهز كيانى ، لم أكن أتخيل أن يحدث لها هذا، أو يحدث منها هذا ، تصورت حين تزوجت زوجى الأخير فى اليوم التالى للعدة من أبيها أنها سوف تأتى لى وترتمى فىحضنى وتقبلنى وتقوللى مبروك ، أليست البنت سر

أمها، تمنيت أن تكون مثلى متفهمة للحياة راغبة فيها، تبارك لأمها متعتها طالما على سنة الله ورسوله ، كما تعلمت أنا من أمى التى سبقتنى وتزوجت سبع مرات ، ولم أخرج من حياتى معها بعقدة ذنب واحدة، بالعكس .. كنت أسعد لسعادتها، لكن ابنتيتفاجئنى أنها تموت، تذبل ، ترفض الطعام، تفكر فى الهروب، مع أننى تركتها لأبيها الذى تحبه ، لم أقل ولو مرة إننى سوف آخذها من حضنه ومن حنانه ومن بيته ، قلت له وأنا أطلب الطلاق وأصر عليه : خذها ووعد لن أطلبها منك وسوف أراها فى الأعياد ، هل ترانى أماً من حجر ، أرجوك لاتقول إننى لست أما أصلا ، أو تضع أمامى أوصافاً لا أحبك أن تذكرها عنى ، لقد فعلت أمى معى ذلك ولم أغضب مرة ، وكنت أتمنى لها السعادة ، حقها فى الحياة أن تعيش الحياة ، فلماذا إبنتى ترفض أن أجد سعادتى مع رجل آخر بعد أن توقفت الحياة تماما مع أبيها ، لماذا أعيش معه سنوات أخرى خالية من مشاعر وحميمية ودفء وخلافه ، هل يجب أن أكمل عمرى هكذا ، تمثالاً على رف بدون كلمة حلوة أسمعها ونظرة لها معنى ألمحها ولمسة وابتسامة ودماً يتدفق فى رفق ولذة إلى جسدى ، وهل فى العمر بقية، أنا اخترت نفسى .. العنى ، لكن لا تسلب منى حقى فى أن أعيش ، وهى سوف تكبر وتعرف وتشعر وتعيش ، فلماذا أموت وأنا ألعب دور المرأة ، التى ضحت بنفسها من أجل غيرها ، عدت من شهر العسل معذبة بسببها ، كان وداعها لى جافاً ، حاولت أن أقبلها فرفضت ، أحضنها فتركت يديها الصغيرتين ملقاتين إلى جوارها فى لامبالاة ، ماذا أفعل لها ، قال لى أبوها وأنا أسأله ماذا قال لها عنى : لاشىء .. هى فقط قرفانة ، لاتستطيع أن تتصور أن أحداً آخر لمسها ، فكيف تقوى مشاعرها الصغيرة أن تحتضنها !

عموما لايهمنى ، فأنا تعودت منذ زواجىالثانى والثالث والرابع وهكذا ، تركت خلفى أطفالاً أصبحوا الآن أكبر وأطول منى ، لم

يهددني أحد منهم بما تفعله طفلتي فرحة ، لعب عيال ، هي تتصور أنها سوف تجعلني أكره زواجي من هذا الطفل الذى التقطته من المؤسسة التى أعمل بها ، رأيت فى عينيه نظرة ، أعرف دون أن تلومنى أن فى نظرته بعضاً من مصلحة، هو كان يريد أن يحصل على وظيفة ، وأنا منحتها له وحصلت على حقى ، رشوة من التى تثور الشعوب من أجل إسقاطها فساد ولست وحدى الفاسدة فى البحث عن متعة باستغلال سلطاتى ، وهو شاب طموح، نذل مثلى تماما يلعب بالبيضة والحجر ، قذر ، لكنه شاب، يملك كل مايملكه الشاب من دماء وردية ، فىزواجى قبل الأخير تزوجت رجلاً أصغر منى بعد أن تجاوزت منتصف العمر ، وأقسمت وقتها أن يكون الأخير ، هو لم يحبنى أبدا ، لسبب بسيط أنه لايعرف الحب ، قلبه ليس معه ، معه جسد وعقل مليء بالأرقام والحسابات ، فماذا حدث بالوقت وبميلاد فرحة ، أصبحت المساحة بيننا باردة مثل قمة ثلج تخفى ألماً شديداً، لماذا يتحول الأزواج إلى مائدة سفرة بعد سنوات الزواج الأولى، لماذا لايتصارح كل اثنين أن الزواج ليس مجرد بيت يلتقيان فيه بعد الظهر، ويقيمان فيه إلى الصباح التالى يتناقشان فى أسعار الفاكهة ومشاكل العمل وغباء البواب ، نفس الكلام بينما جسدين على أتم الاستعداد لمغادرة العالم إلى جنة ملقيان على الكنبة أمام تليفزيون غبى يوش رغى وتوافه .

أنا امرأة متصابية ، أعترف ، أشبه تلك السيدات اللاتى تشاهدهن فى المسلسلات التركى ، أتمسك بالحياة حتى آخر نفس ، وأعرف أننى أدفع ثمناً باهظاً من أجل أن أحترم نفسى ،أمنيتى نوم لايزورنى فيه كابوس لابنتى تؤنبنىوتصفعنى ، هل تتصور كم أعرف أن نهاية جنونى سوف يكون جريمة أو ماشابه ، تصور أننى أشعر وأنا فى النفس الأخير

للمتعة أن هذا الطفل الذى أتزوجه قد يبادر بقتلى ذات يوم ليتخلص من بشاعة العلاقة بيننا ، أخاف أن أغفو أو أغمض عينيى ، لكن ما باليد حيلة ، لا أملك أن أتراجع ، أقف على حافة هاوية ، السعادة فيها أنا التى أخترعها لأصدقها وأعيش بها ، والحزن هو الحقيقة ، فمهما كنت قاسية فقلبىيوجعنى على ابنتى التى تموت ، بينما أحاول أن أستمر فى الخدعة إنها تهددنى أو تغير من وجودى مع رجل غريب .

أترك كل شىء للظروف ، وأكذب كلما أمكن حتى أخدر ضميرى الذى يشبه مسامير موجعة فى جسدى ، وكتبت لأسألك سؤالاً : هل لديك وصف لما أنا فيه غير أننى امرأة تتمسك برحيق حياة تنتهى ، ومهما كانت إجابتك حاول فيها فقط أن تنصفنى ، فلم أرغب أن أعذب أحداً .. لكن الآخرين يتعذبون لمجرد أننى أختار حياتى كما أريد.

أعرف أن فرحة لن تسامحنى العمر كله ، لكننى أسامحها على ماتفعله بى ، إنها تقتلنىفى كل مرة كنت أحاول فيها أن أراها .. عندما كنت أراها ، لقد حرمت نفسى من رؤيتها .. حتى تقرأنى نعيا فى جريدة ذات صباح .

زوجة غبية جدا .. كلما أمكن!

أخيرا أخيرا .. أقنعت زوجى مصطفى بعد خمس سنوات زواجاً أننى:
غبية جدا !

الحمد لله ، أقولها وأنا أرفع يدى للسماء ، وأنا أطبخ وأنا أحكى لأطفالى حدوتة قبل النوم وأنا أدبر مصروف البيت آخر كل شهر ، لا يعرف قيمة ما حققته بعد جهد و صبر ومعاناة إلا زوجة مثلى رزقها الله زوجاً مسكين يتصور أنه أذكى مخلوقاته ، يفهمها وهى طايرة و يعتقد أن ذكاء المرأة عورة وتفكيرها خيانة ومناقشاتها فساد .

أنا غبية ، غبية وأعيش ، غبية وفى يدى ثلاثة أطفال ليس لهم ذنب فى نظرة أبيهم لعقل زوجته ، لم أفكر مرة فى الانفصال ، أنا أعيش من أجل أطفالى ، أعيش الآن من أجل بيت مستقر لا يخافون منه ولا يبتعدون عنه ، الحياة اختيارات .. أنت قلتها بدل المرة عشرة ، كل إنسان يختار مصيره ومشواره ، وأنا إخترت أن أكون أماً .. حتى لو ضحيت بأبسط حقوقى .. أن أفكر!
هل أصبح التفكير يا صديقى .. غلطة الزوجة المحبة لبيتها ولو على حساب نفسها ؟
كان ياما كان .. فى يوم من الأيام ، قابلت مصطفى فى الصيدلية التى

كنت أعمل بها، أقنعنى من طلته الأولى أنه إنسان محدود التفكير ، يدور حول نفسه ، يبحث عن شيء لا يعرفه ، يقاوم شهادة بكالوريوس الصيدلة التى يحملها ، يبدو مثل طاووس مسكين مطرود من حديقة الحيوان لعدم قدرته على جذب أنظار الأطفال .

كان يشبه السر ، كأنه علبة مغلقة لا تعرف إن كانت فارغة أم تخفى هدية ثمينة .. لا أفهمه ، هل لهذا السبب أحببته ، تحب المرأة الرجل الغامض بسلامته .. كأن كلنا سعاد حسنى وكلهم حسين فهمى !

تصور أحببته ، مع أننى أجمل من سعاد حسنى .. ومازلت بفضل غبائى ، ومع أنه أيضا ليس له أى علاقة بوسامة حسين فهمى !

تخرجت فى كلية الصيدلة بعده بدفعتين .. وكان عمدا ودائما يقول لصاحب الصيدلية التى نعمل بها معا إنه خريج آخر دفعة محترمة فى الكلية . كان يقولها علنا وكنت أبتلعها كأنه يتكلم عن كلية أخرى ودفعة لاعلاقة لى بها.

وفى يوم ، وكان يأتى ليتسلم منى دائما وردية الليل .. أعلن لى عن رغبته في أن يزورنا فى البيت .. وفهمت المعنى الذى يمكن أن تفهمه أى بنت مثلى .. وقلت له وأنا أدرب نفسى على الخجل : تشرف .. أى وقت ، فقال بجرأة حسدته عليها : تعرفى تعملى محشى كرنب وورق عنب وملوخية وحمام وصينية مكرونة فى الفرن ورقاق وأم على !
أظن أننى يومها قلت فى سرى وربما سمعنى : يا نهار أسود !
وزارنا الدكتور مصطفى ، كما كان يحب أن أناديه ومازلت، وهو

يخفي علبة شيكولاتة صغيرة بين يديه ، كان يبدو مترددا أن يتركها أو يحملها معه بعد الغداء . وبينما كانت أمي تجلس في انتظار كلمة من عريس منتظر.. وأخي الصغير يلعب دور الأب في غيابه بعد أنفصاله عن حياتنا ، ظل الدكتور يختبر الثلاثة : أنا وأمي وأخي .. أسئلة مفضوحة عن الأب الغائب ومصروف البيت ودرجاتي في الجامعة .. ثم وقف فجأة يمد يده ويشكرنا على الغداء الذي يذكره بأكل أمه في البلد !

غادر ونحن نتبادل النظر .. وأجمعنا في نفس واحد بعد انصرافه أنه جاء ليأكل فعلا .. وليس لأي سبب آخر تصورناه ، وهكذا مضت الأيام .. حتى طلب مني مرة أخرى أن يأتي بيتنا على العشاء في يوم إجازته لموضوع لا يؤجل .. جاء وأكل وشرب وكاد يتمدد ثم أخرج من حقيبة جلد قديمة لا تفارقه عقداً يثبت أنه أشترى نصف الصيدلية التي نعمل بها !

وعلى باب الخروج كأنه تذكر شيئا قال مفاجئا الجميع : ياحماتي .. أنا على فكرة بأطلب منك إيد ابنتك .. مبروك علينا!
هو قرر .. أن أمي أصبحت حماته ، وأنا زوجته ، وأخي الصغير عمه ، والبيت بيته، ومبروك علينا دون أن ينتظر رداً ، لكن الحقيقة .. ظروفي وعمري الذي تخطى الثلاثين دون أن يقف على بابي عريس ، وتعبي من العمل المرهق كل يوم أكثر من عشر ساعات ، وحياتي التي تفتقد الأب بكل هيبته وهيئته ، وقلبي الذي أحب مصطفى، رغم لسعات دماغه وغموضه... جعلني لا أفكر في كل عيوبه التي تشبه بقع الحبر على الملابس وأوافق .

ومن يومها قررت أن أبدو غبية أمامه كلما أمكن .. ولم أكن غبية، لكن الغباء عادة يمكن أن نكتسبها بالوقت والممارسة ونستريح ، لقد أدركت معه نعمة الغباء ، وهى صفة أرجو أن تتحلى بها معظم النساء دون أن يخبرن أزواجهن بالسر ، الغباء هو أن تبدو الزوجة أمام زوجها لا تعرف ولا تريد أن تعرف .. مبتسمة فى بلاهة طوال الوقت.. مستسلمة للنوم أغلب الظن .. لا تجادل ولا تسأل ولا تدخل فى مناقشات هى الخاسرة دائما فى آخر الفيلم .

أرتاح مصطفى لمستوى غبائى من أول يوم ، فإذا سألنى عن شئ .. ردى هو : اللى تشوفه ، إذا طلب شيئا حتى ولو لن أنفذه .. أقول له: حاضر ، لو بدأ مناقشة ما وأخذ رأيي .. أفرسه وأعمل نفسى ولا أنا هنا !

هذه وصفة مريحة هادئة هانئة لكل زوجة تريد زواجاً سعيداً يدوم ، الحوارات الطويلة هى التى تفسد الزواج وتكسر العلاقة وتهدد أمن البيت ، كل زوج مهما كان غبياً .. يريد من هى أغبى منه ، يريد أن يكتسح ويفوز ويناور ويكسب ويقف أمام نفسه ويقول أنه أذكى اخواته ، أنا كبرت دماغي ولو تصور البعض مثل أمى أننى فرطت في شهادتى وعلمي وجمالى وذكائى لمصلحة رجل يتصور أن عبقريته تتجاوز أينيشتين ، وبذكائه يدير العالم كما يريد ، هل قلت لك إنه فى السنوات القليلة الماضية أشترى الصيدلية التى كان يعمل بها كلها ، واشترى نصيب فى عمارة ، واشترى سيارة نقل وتاكسى للأجرة ، هو ماهر فى التجارة ولو تقشف على بيته وأولاده وزوجته ، لقد أتاح له غبائى أن يفكر وحده ويعمل فى هدوء دون نكد منى ومناقشات لا تودى ولا تجيب ، أما أنا فأكاد أقول لك بجد إننى أسعد زوجة فى الدنيا

، أولادى فى حضنى وزوجى لا يفكر فى مجرد النظر لأخرى.. فهل سيجد امراة تملك نصف مواصفاتى ، أتمتع بحياتى بدون وجع قلب، وفى دولابى أحتفظ بكل عقود ما يشتريه مصطفى بعد أن يكتبه باسمى .

يبدو أننى نسيت أن أقول لك إن من ضمن مميزات الغباء إقناع الزوج بطريقة سهلة جدا بضرورة أن يكتب كل شىء بأسمى هربا من الحسد ومن الضرائب أيضا!

شيء في صدره !

تصرخ سعاد فى البيت طوال النهار والليل ، تقول إنها زوجة تعيسة لها الجنة - على الرغم من أنها عادة لا تصلى بإنتظام - بسبب زوجها وأطفالها الثلاثة !

ومن ورائها - طبعا من ورائها - يقول زوجها مصطفى إنها مجنونة لا تطاق ، تعشق النكد وتحب الحياة في دور الشهيدة ، إذا طبخت لهم فى يوم صينية بطاطس ظلت أسبوعاً كاملاً تشكو التعب والتضحية التي قامت بها ، كما أنها محبة جدا للشكوى من كل شيء وأى شيء - احتياطي - ولا يعجبها أى شخص خاصة طبعا النساء، ولو كن صديقاتها ، وتتهم زوجها بالبخل لمجرد أنه لا يستلف على مرتبه فلوس إضافية تكفى ما تريد شراءه .

وتقول سعاد عن مصطفى فى حضوره مع أول خناقة صباحية : كرهتني فى عيشتي .. مش عايزة أموت ناقصة عمر .. أنا مش ناوية أبقى صاحبة مرض بسببك إنت وعيالك .

ويقول مصطفى من ورائها أيضا - دائما من ورائها - فى همس : أنانية لا تعرف إلا نفسها ، هى وبس ، تستخدم دائما العبارات التى تعود عليها وليس علينا ، وتعتقد أن الجميع على خطأ وهى الوحيدة التى

تفعل الصواب .
وترد سعاد على هذا الاتهام بالوصلة التالية : شايفنى بأقطع فى شعرى ولا بأكلم نفسى ، نفسك إنت أبقى مجنونة وأروح مستشفى المجانين وتخلص منى .
ويقسم مصطفى ـ أمامها وخلفها بصدق ـ وهو يمسح دمعتين إحداهما حزن : والله بأحبك يا مجنونة .. بس لو تعقلى شوية وتقولى لى كلمة حلوة حنينة .. إضحكى عليا بكلمة بنظرة بلمسة .. ولو كنت غلطان وشوفى هاعمل إيه معاك ....

وتلطم وهى تقولها علنا : عايزنى ضعيفة ومكسورة علشان تتحكم فى حياتى .. مش كفاية بتصرف على البيت ، وكل أول شهر أمد إيدى أنتظر الحسنة اللى حضرتك هتتكرم وتتفضل وتصرفها لنا .
ويعقد مصطفى حاجبيه فى دهشة ويعتقد وقتها بالذات أنه ليس مصطفى ، احتمال يكون هيثم أو تامر ويقول علنا جهرا : طب ما هو طبيعى أنا راجل البيت ، أشتغل وأتعب وأشقى وآكل طين علشان فى أول الشهر أقبض وأقبضها مصروف البيت ، ولو عايزة تنزل تشتغل هى وأقعد أنا فى البيت أربى العيال .. أنا ماعنديش مانع خالص .. على الأقل أستريح من الزحمة والشوارع والمواصلات ومديرى فى حالاته الخماسية للنكد والعكننة .
وتبكى فى صنعة مكشوفة كأنها ممثلة رديئة وهى تشكو حالها المائل : طبعا ، عايزنى أنزل أتبهدل وأسمع كلمتين من اللى يسوى واللى ما يسواش ، نفسك إنت أصرف على البيت وإنت تأنتخ وتستريح وتنام للضهر وكل حاجة عملتها فى بيتى تفسدها ..
يضطر مصطفى إلى استخدام عبارات موحية ولكن فى سره .. لكنه يهدد : بكرة أموت وتستريحى منى ، أموت علشان تعرفى قيمتى ، أنا

حاسس هيحصل لى حاجة، آه يا قلبى.

قديمة تقولها سعاد بعلو حسها : تموت ، تموت وتهرب كدة بالساهل، عشم إبليس فى الجنة ، قاعد على قلبنا لحد ما أعرفك إن الله حق .
فيرد مصطفى مستسلما وقد بدأ يشعر بالفعل بشىء فى صدره يؤلمه: يا ستى أنا عملت لك حاجة وحشة ، طب ده أنا عمرى ما عملت حاجة وحشة فى أى حد ، ليه يارب العقاب الكبير ده فى الدنيا .
وتكشر عن أنيابها محتدة : وكمان بتدعى ربنا ياخدنى ، كده عينى عينك بتقول يارب عاقبنى ، أقولك حاجة مخبياها فى قلبى من سنين وساكته ، إنت العمل اللى ربنا بيعاقبنى بيه فى دنيتى .

ويذهب مصطفى إلى المطبخ ليبحث فى الثلاجة عن شىء بارد يطفىء النار التى اشتعلت داخله وتركت بعضا منه رمادا ، فيجد أمامه بالمصادفة سكيناً على طرف المائدة ، فيستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، ويسأل نفسه : كان عقلى فين بس ياربى لما خطبتها ؟
وتلحق سعاد بالسؤال بعد أن تنشق الأرض عنها فيجدها أمامه وهى تمسك السكين فى يدها وتلوح بها كأنها على وشك تقشير برتقالة، وتذكره بأنه ذاق المر وسهر الليل من أجل أن توافق على أن يتقدم لأبيها ، ولا نسيت يا درش !
درش وهو اسم الدلع الذى لا يطيقه ، قال ساخرا : ده أنا عندى منديل شاهد على كل الدموع اللى حلفتينى علشانها إنى أتقدم وأخطبك ، حتى لو بعدها كل واحد راح لحاله.

تضحك سعاد ، تضع السكين وتتناول منه شربة حاجة ساقعة كانت فى يده ، وتقول له بكل ثبات : عارف كم مرة فكرت أقتلك ؟ فكر كده

كم مرة .. ما بهزرش .
ويثبت درش كأنه صورة ثابتة على شاشة تليفزيون بلازما ، ثم يعود الإرسال فيقول: نفس الفكرة خطرت على بالى قد أربعين مرة آخرها من دقيقة .
وترفع سعاد حاجبيها وهى تؤكد له أنها فكرت فى ذلك أربعين مرة .. لكن فى اليوم الواحد ، من أول يوم زواج .

يسألها مصطفى سؤالاً مباغتاً : إذا كان الأمر كذلك يا عزيزتى ، لماذا لا يذهب كل واحد إلى حال سبيله .
سؤال بسؤال تقول سعاد : وأنكد على مين ؟
لا يملك مصطفى أمام الإجابة الصحيحة إلا أن يضحك فتقول له : شفت ضحكتك إزاى ، حد فى الدنيا يقدر يضحكك زيى ؟
كانا مازالا فى المطبخ فيقترح مصطفى عليها عمل "زوج حمام" لمحهما فى فريزر الثلاجة على الغداء ، مع شوربة وشوية سلطة ، وأن يستكملا الحوار فى الليفنج روم أمام المسلسل العربى .

قالت سعاد : أوكي ، مع إنى مش طباخة ماما ، الست الوالدة يعنى .

يقول مصطفى فى جدية لا تليق بالموقف : بطلى قلة أدب ، إلا سيرة الحاجة .

فتذكره سعاد بأنه أطلق سيرة الحاجة أمها الأسبوع الماضى فى موضوعات لا تليق أكثر من ثلاث مرات ، فيسكت ، فتذكره أيضا بأن فكرة قتله تنبع من حبها الشديد له .

فيقول مصطفى وفى كف يده رائحة بصل لايعرف من أين حصل عليها: حبيبتى .. هو أنا أقدر أعيش من غيرك لحظة ؟
فترد بدلال يشبه الأنوثة ، لكنه ليس كذلك : ياكذاب ياغشاش ياكده وكده .

فيقول مصطفى : أبدا والله ده أنا كده بس إنت اللى دايما شايفانى كده وكده .

تختبره سعاد ببوز مفاجئ : هتشترى لى الفستان اللى طلبته علشان فرح بنت خالتى .

حاضر ، يقولها مصطفى أربع مرات فى نفس اللحظة التاريخية الفاصلة، وهو يعلن موافقته على زيادة مصروف البيت ، يبطل سجائر، يحضر لها بلاك بيرى هدية مبكرة لعيد زواجهما ، وحسك عينك ترفع عينك وتشوف أى واحدة ست غيرى .. أقتلك وأقتلها .

ويستأذنها مصطفى فى الذهاب إلى البلكونة ليولع آخر سيجارة فى حياته ، وفى الهواء الطلق يردد بينه وبين نفسه : يا درش ما تخرج من البيت وتعمل نفسك فقدت الذاكرة وما ترجعش .. تصدق أكرم لك .

وينفخ دخان السيجارة .. ودرش لا يرد .

شبه رجل .. شبه حب !

رائحة المطر فى بدايات الربيع تذكرها به ، كان يقدم لها هنا فى موسم الزهور وعودا كاذبة عن حبه ، عبارات غزل يفوح منها نفاق لم تدرك كم كان مثيرا للغثيان إلا بعد أن رحل عنها ، الكاذب يقول لها وهو يحاول أن يطوقها بيديه : أحبك أكثر من نفسى ، أكثر من روحى ، لو كانت روحى فداء لجرح صغير فى إصبعك .. ضحيت بروحى ولا تتألمى !

كذاب ، تسأل نفسها فى شىء يجمع بين الهزيمة ولذة الانتقام : هل كل الرجال كاذبون؟ كان كاذباً على كل حال ولم أجرب رجلاً غيره ، كان الحب الأول ، ولن يكون الحب الأخير ، سوف أحب حتى أؤكد له أننى بدونه أعيش ، وأن هناك رجولة غيره ترى فى معطفى أنثى تستحق الحب ، وربما وهذا ما أتمناه أحب حباً يجعلنى أبصم بالعشرة أننى لم أحب من قبل ، وأن هذا الرجل الذى مر وهما فى حياتى وتركنى كان شبه رجل وشبه حب ، مقدمة كتلك التى يكتبها الأدباء على غلاف رواياتهم الأخير للتعرف على أبطال الرواية ، كذاب هذا الذى إكتشف أنها قلب خام لم يمسسه حبا ، فتلكأ عندها حتى اقترب، وكان من بعدها ما كان ، لقد ـ تتذكر ـ رأته فى المدرسة التى تعمل بها ، قدم لها نفسه مدرس الموسيقى الجديد ، قدمت له نفسها مدرسة الرسم القديمة ، وضحكا ، رأته يعزف على البيانو فى حجرة

الموسيقى فأحست أنه يعزف على أصابعها ، فرسمته في الليل لوحة كما في الأفلام الابيض والأسود ، هي - هي أيضا تتذكر - فتاة الأبيض والأسود ، رومانسية إلى حد أقصى ، رقيقة كما فراشة بيضاء تدرك أن شوك الورد حتما يمزق أجنحتها ، على الرغم من أنها تلتصق في الورد غير عابئة بخدش جناحيها ، فحياتها أن تموت في ما تحب ، وكان - تتذكر وتتذكر - كان وسيماً كأنه قبطان سفينة تعبر جبال ثلج ، نحيفاً خفيفاً له أصابع موهوبة مسحوبة ووجه له شحوب أبطال القصص الرومانسية ، يغني أحيانا وهو يعزف ، فله صوت تتصور الآن أنه كان شجناً ، حصص الموسيقى تشبه حصص الرسم ، الحروف الموسيقية تشبه علب الألوان وكراريس الرسم ، كانت في انتظار قصة حب ، في الخامسة والعشرين من عمرها فإذا كانت لم تحب بعد .. فمتى تحب ؟ هي فتاة طبيعية تماما وقد قرأت لنزار قباني أن الحب عليك هو المكتوب يا ولدى ، فهل تهرب من المكتوب لها ، المكتوب عليها ، أحبته حين لمسها ، كان يعلمها ضربات البيانو كيف تصبح موسيقى ساحرة تجمع الدراويش والمجاذيب والمحبين ، ويتحول الجميع معها إلى لوحة ... لكي ترسمها هي !

أحبت ، الوصف واللمسة والاقتراب وصوته الذى يبدو مثل آلة موسيقية لا تعرف اسمها ، شعرت - تتذكر مرة أخرى - بدفىء مفاجئ في كل جسدها ، كأن الحب بحر دافئ في أغسطس ، قفزة واحدة فنمتلئ بلذة ، ونتمنى وقتها أن لو كانت الحياة كلها بحر دافىء نغطس ونغرق في مائه .

كيف يصبح البحر بكل ملحه .. عذباً ، وكل غموضه .. صديقاً ، وكل تقلباته .. نشوة، وكل هيجانه .. خوفاً نختبئ في أمواجه ، أحبت هذا

الرجل كل فصول السنة الدراسية ، في الإجازات السنوية كان يغيب عنها ، يقول إنه مسافر إلى بلدته البعيدة ، وأنه هناك ينقطع تليفونه عن العمل ، فيتفرغ للجلوس مع الطبيعة ، ويسمى الأشجار باسمها، شجرة المشمش يسميها وشجرة الخوخ يناديها وشجرة التوت ينام في حضنها وشجرة البرتقال يشم منها رائحتها وشجرة الجوافة تذكره بأن الخريف على الأبواب وأنه سيعود لها ، كان يحكي لها حكايات مذهلة عن مشاعر لو حكاها لألف امرأة لارتعشت كما النجوم في ليالي البرد ، كانت تصدقه ، تتذكر أنها كانت لا تفكر في أن يكون هذا الرجل يعرف كيف يكذب عليها ، لماذا وهي تحبه ، هل يتصور البعض أن الحب يمنح الآخر الحق في الكذب ؟

تتذكر ، لم يلمسها ، أبدا ، هو لم يحاول ، وهي لم تسعى ، هو كان أكثر من الحب الذي تقرأه في رواية ، حب يبدأ حبا ثم يتكور إلى رغبة في أحشاء حبيبين ، فيتلامسان في البدء ، بعفوية مقصودة ، ويعتذران، وهما يعرفان تماما أن إعتذارهما لأن اللمسة الأولى جاءت متأخرة كثيرا عن موعدها المفترض ، ثم يكرران اللمسة في وقت لاحق بدون إعتذار، قبل أن يتحولا إلى رغبتين متقدتين كشمس ، مشتاقة كانت لأن تصبح شمساً ، وألا تعتذر ، وأن تذوب ، وأن تأخذ معها إحساسها آخر الليل وحيدة فتستعيد كل شيء ، فتاة في عز صباها ، الحب وحده لا يكفيها، فهناك ماهو أكثر من الحب متعة ، يضرب وديانها الجافة فتنفجر أنهارا من عسل وحليب .
سنة ونصف السنة منذ لقائهما الأول وهو يراوغ ، يخترع أكاذيب صغيرة ويحولها إلى خيمة لإحباطها ، كانت تنتظر أن يقول لها ماذا بعد الحب ؟ أليس بعد الحب .. إرتباط ، زواج ، عمر ، بيت وأربع حوائط تتسع لعالمها الذي تحلم به .

قال لها يوما : أشعر أن عندك شيئاً يحيرك ، فقالت له : أنت ، فقال لها : إننى لم أقل لك حتى الآن نتزوج ، قالت له : اختصرت طريقاً طويلاً وكابوساً أطول ، قال لها : لكن لن أتزوجك ، قالت : أنت تسخر من مشاعرى ، تحطمنى ، تعذبنى ، قل لى الحقيقة لو سمحت الآن .

وقال لها ، قال لها وقالت ، وفى هذا اليوم اكتشفت كم تصبح الحقيقة قاسية وقاتلة ، هو لن يتزوجها لأنه ليس رجلا !

ضحكت كما لم تضحك من قبل ، وتذكرت من ضمن ما تذكرت اقتراباته التى كان يحاول بها أن يثبت لنفسه شيئاً ما لم تفهمه ، وقتها على الأقل لم تفهمه ، الآن يمكنها أن تعرف أنه كان يجربها ، كان يحاول أن يكون شيئاً آخر .. لكنه فشل ، هى تضحك أن هذا كان نصيبها فى الحب ، من الحب ، كانت مشروع تجربة لإنسان يحاول أن يكون رجلا ، ترك لها أكاذيبه ذكريات مؤلمة جدا ، ووجعاً فى كل جسدها ، مؤكد أنها تحمل الآن قلبا مشروخا مثل فاترينة زجاج قذفها عابر بحجر ومضى ، تتذكر أيضا كم كانت أكاذيبه جميلة وتقول لنفسها أحيانا وهمسا : لو كان أكتمل .. وتراقب من خلف نافذتها رخات المطر ، فتتذكر المزيد ، وتتذكر أنه الربيع ، وهى تحب الربيع موسم الحب والزهور .

فى انتظار أن أعض زوجى !

كل يوم عند الفجر تطاردنى نفس الفكرة المجنونة أن أعض زوجى النائم فى عمق بجوارى يتنفس بصوت مسموع ومزعج ويحرك عينيه فى بلاهة من يحلم أحلاما سعيدة !
أضع مخدة خلف ظهرى وأستند إلى ظهر السرير وأجلس أتأمل هذا الكائن الذى كان حبيبى .. وكان حلمى .. وكان يوما فارسى الذى حين ظهر فى حياتى .. رفعت ذراعى مستسلمة ليخطفنى على حصانه الأبيض .

اليوم ، وعضتى التى أنتظر أن أحدث بها عاهة مستديمة فى جسده، ليست فكرة اليوم.. لقد بدأت عندى مثل خاطر لطيف ضحكت عليه من سنة .. فى الصيف الماضى خطر فى بالى أن أعض هذا الرجل النائم بجوارى لعله يعرف أن أحلامه السعيدة التى يغرق فى بحرها كل ليلة.. ليست هى نفسها أحلامى السعيدة .

واكتشفت حين جاء هذا الخاطر أن زوجى لم يعد زوجى منذ الصيف قبل الماضى .. يعود إلى البيت عند منتصف الليل تماما كأنه سندريللا.. يخلع حذاءه ويتسلل على أطراف أصابعه إلى غرفة التليفزيون .. يقلب فى القنوات دون أن يشاهد برنامجاً أو مسلسلاً أو فيلماً .. ثم

يتمدد في سريرنا بجوارى دون أن يضع ولو قبلة على جبهتى !

تسألنى : أين أكون وقتها ؟ نائمة .. أو أمثل عليه النوم لعله أو لعلنى أفوز منه بلمسة.. أو طبطبة على شعرى!
أعرف أنك سوف تتهمنى الآن بالغباء .. لماذا اختصرت كل رغباتى الأولى فى قبلة أو لمسة أو طبطبة .. ولماذا أصلا لا أنتظره كل مساء ولو كان متأخرا فأرتدى له أجمل ثيابى .. وأعد له طعاما لذيذا .. وأشعل له شموعاً موحية بالرومانسية والرغبة والحب ..

لماذا لم أكسر حاجز الصمت الموحش والثلج الذى يغطى جسدى فى عامى الرابع من الزواج .. نسيت أن أقول لك إننى فى عام زواجى الرابع فقط .. ولك أن تتخيل ، شابة لم تكمل عامها الخامس والعشرين بعد ، ومازال فى ملابس جهازها عطر أيام الزواج الأولى .
يخجلنى أن أقول لك إننى مهزومة !
كيف أنتظر رجلا نسى أن يقول لى أحبك منذ عامين ، كيف أشعل أنوثتى لرجل يتجاهلها عمدا ، كيف أضع كفى على صدره حين يعود بعد سهرة طويلة مع أصدقائه، كيف ومرآته التى ينظر لها نصف ساعة على الأقل كل يوم .. أهم منى ، لماذا كل الرجال يتهمون المرأة بإنها السبب ، تهمل الرجل فيهملها ، تهمل نفسها فيشبع منها ، هذا إحساس قاس ، هذه تهمة باطلة ، هذه أنا أقول لك نيابة عن كل امرأة: كل زوجة هى رد فعل لزوجها ، كل زوجة تستطيع حتى عام زواجها الأربعين أن تصبح شريكة قصة حب رائعة ، فلماذا تنظر لى على أننى المتهمة فى عام زواجى الرابع؟!
تهمس لى صديقتى المقربة التى نتبادل معا تفاصيل حياتنا أن زوجى مؤكد له علاقة بامرأة غيرى ، وأنا بكل ثقة أقول : أبدا ، أنا رغم كل

الأحلام السعيدة التى يغرق فيها كل ليلة .. لا أشم رائحة امرأة أخرى، كل امرأة مهما كان حجم غبائها تملك حاسة تعرف بها رائحة النساء الغرباء فى أظافر زوجها ، وساذج الرجل الذى يتصور أنه خائن بذكاء لا يترك أثاراً لجريمته بعد وقوعها ، متصورا أنها الجريمة الكاملة التى تذهب ضد مجهول ، هذا من غرور الرجال وثقتهم المجنونة التى تصل إلى حد العبط !

أما أنا فأعرف زوجى معرفة نفسى ، وأحاول أن أجد له عذرا ولو مؤقتا، فهذا المجرم فى حقى النائم إلى جوارى فى سبات عميق ، يتصور أن الزواج حرمه الحرية التى كان يعيشها قبل أن يلتقى بى ، حرية شاب فى مثل عمرى قرر عقله الباطن أن يعود به عازبا ، كأن زواجنا لم يكن ، هو مريض مسكين ، مريض حقيقى ، لماذا لا تصدقنى .. هل قلت لك إننى درست علم نفس وأعرف ما هو حال الرجل حين يصطدم بحائط أحباط .. فيتمنى لو يعود جنيناً فى رحم أمه ، وهل قلت لك إن زوجى: أبن أمه ! . هذه معلومة خطيرة كيف فاتنى أن أكتبها لك فى السطر الأول .. أرجو أن تضعها بين قوسين .. زوجى الذى أرغب فى عضه هو أبن أمه ، ولا بد أن أمه هى التى شارت عليه أن يتزوجنى .. فقد كنت فى فترة قبل الخطوبة أبدو فتاة بلهاء لا تريد من حبيبها سوى أن يقول لى كلام حب ويفاجئنى بتذكرتين سينما وسهرة لذيذة .

لم يكن لى أى طلبات إضافية ، كنت سعيدة أنه سعيد معى ، سعيد وهو يضع يده فى يدى ، ويرسل لى رسائل رومانسية على موبايلى، لم أفكر وقتها من أين يقتبسها .. حتى عرفت مرة منه مفاجأة خطيرة ، إن حماتى هى التى كانت ترسلها لى من تليفونه ، تقتبسها من أى مؤلف..

وتكتبها ، كما كانت تحجز تذاكر السينما وموائد المطاعم، وهى التى خططت أيام شهر العسل وبالصدفة كانت غرفتها بجوار غرفتنا !
كنت ساذجة ، لا أتوقف أمام هذه الأشياء الصغيرة حتى اكتشفت أنها هى التى صنعت المسافة الكبيرة الآن بينى وبين زوجى ، أنا أحبه ، أحب طفولته وأحب شعره الأسود ، وأحب سرحانه المستمر فى سقف غرفتنا ، وكنت ـ على ما أذكر ـ أحبه وهو يحبنى ، أحبه فى عامنا الأول من الزواج وكان شغوفا بى ، كنا كل ليلة معا ، وكل رغبة عابرة كانت عارمة فى حياتنا.

لم يحدث بيننا ما يعكر صفو الماء وتدفقه فى النهر ، حتى خبطتنا جارتنا عين ، أنا أؤمن أن العين تفلق الحجر ، ونحن بشر .. وفى أمور الحب ، يتسلل الحسد من عيون التعساء المحرومين المحروقين .. إلى السعداء ، فترتبك الحياة وتنزف المشاعر حتى الموت .

فى أيامنا الأولى من الضياع ، حاولت أن أمنحه مهلة لعله .. وحاولت أن ألمس الحجر لعله يعود بشراً .. حاولت أن أفهم فلم أفهم .. حاولت أن أقترب وأستيقظ وأوقظه .. فلم أفلح .. وهكذا بالتدريج وجدت نفسى فى حياة صامتة .. المهلة طالت والهدنة أصبحت عمراً .. وخجلى أصبح صرخة فى ظلام .. ورغباتى تحولت إلى أمنية تطاردنى أن أعض هذا الرجل النائم فى بلاهة ، وكل ليلة أؤجل أمنيتى إلى الغد وأقول لنفسى بكرة أعضه .. أنتقم .. أجعله يتألم .. أريده يندم ..

وأخيرا .. قررت أن أشكوه إلى أمه ، فكرت كثيرا فى أن أقول لها، وأعترف أمامها بما لا يحدث بيننا منذ عامين ، ولكنها جاءت لى فى الحلم وكنت أحكى لها ووجدتها تضحك .. تضحك قوى .. ولم أفهم

فى تفسير الحلم إلا أن اعترافى لها سيكون دليل إدانة ضدى .. أنا أعرفها جيدا .. سوف يسعدها أننى تحولت إلى كرسى فى البيت !

لن أخلعه .. لن أرفع قضية طلاق كما تنصحنى صديقة أشك فى نواياها نحوى .. ولن أستمر ضائعة، جائعة، مجروحة .. سوف أعضه الليلة .. سأقول له كل ما أخفيته عنه عامين .. ولا تجعل قراءك يشمتون أو يحسدون .. اجعلهم مثلى يعترفون بما يخفونه عن الجميع .. وسوف تعرف أن قصتى قصيرة ومشكلتى بسيطة وجرحى المفتوح ما زال فى أوله..

كان خاتماً في إصبعي .. وراح !

اليوم أتزوج مرة أخرى ، الليلة فرحي ، أنا عروس مرة ثانية ، وليست ثالثة أو رابعة أو خامسة ، هذه المرة أنا اخترت العريس ، لا أخفي عليكم أنني خائفة جدا من التجربة الثانية ، لكن قلبي يرقص من الفرح !
أكتب هذه السطور التي تحمل مشاعري صباح حفل الزفاف .. وسوف أضعها على الفيس بوك مشاركة مني لكل الأصدقاء الذين لا يعرفونني ولا أعرفهم ، هذه مشاعر يجب أن توصف قبل حدوثها، بعد ساعات قليلة سوف يدخل حياتي رجل آخر ، رجل ثان ، يضع بصماته على جلدي وأيامي ، ولا أعرف تماما صدقوني هل هو الرجل المنتظر ، أم أنني أكرر لمرة ثانية محاولة أنتحار امرأة تبحث عن رجل !

أُعذروني ، أنا مرتبكة ، أكتب كل ما يمر بي دون أن أفكر به ، في السنة الماضية ، كان الوقت في مايو على ما أحاول أن أنسى ، كنت عروساً للمرة الأولى ، يوم طويل لا أرجو له أن يعود ، بدأ بحلم مبهج .. وأنتهى بحلم أسود ، كل بنت هي في النهاية مهما كان دهاؤها ومهما كانت أنوثتها بنت ، في ليلة فرحها تلغي كل عقلها وتصبح عروساً منتعشة تريد أن تصبح أجمل بنت في الدنيا ، أجمل بنت في الليلة ، ترقص وتغني وتفرح وترفع فستان فرحها في زهو ملكة وكبرياء

إمبراطورة، تضحك بكل حرف من حروفها ، تسرق كل أفراح الناس وتجعلها فرحتها ، تتصور نفسها سعاد حسنى أو يسرا وأكثر ، فى هذا اليوم كنت أنا .. هذه العروس التى تبحث عن عتبة السعادة لتخطو عليها كما الأطفال، قالت صديقاتى فى أذنى همسا وكنا نرقص على أغنيات تامر حسنى إن عريسى يبدو خجولا .. وضحكنا ، قليلات الأدب ، من قال إن البنات لا يعرفن الكلمات التى تحمل إيحاءات مدهشة ولها معان كثيرة !

فى هذه الليلة .. عرفت معنى أن يكون عريسى خجولا ، ولم يدم الخجل .. تم الطلاق فى هدوء يليق بلم الفضيحة ، عائلتان من كبار النسب ، يتبادلان عتابا واتهامات طالت شرفى كما لحقت برجولته ، وقالت لى أمى بندم وقلق " نصيبك ، ربنا يجعل نصيبك المرة الجاية أبو أولادك " ولا أعرف أصلا لماذا يرتبط خجل زوجى السابق .. بالأولاد، ولماذا لا يرتبط خجله بحقى أولا فى نفسى ، فى حياتى ، فى أنوثتى ، فى صبرى ، ولماذا لا تكون الدعوة هكذا " ربنا يجعله راجل يسعدك ويهنيك ويرضيك " هذه دعوة تحبها البنات . مش كده يا بنات ؟ كان العريس الأول يبدو لقطة ، منظره.. مظهره..كلامه.. عطره ، " حسدونى وبان فى عنيهم" . بعض صديقاتى قليلات الأدب من رأيهن أننى تسرعت بالفضيحة والطلاق ، وأن الرجل ربما لم يأخذ وقته وفرصته فى التعبير عن كامل مشاعره ، وهن أيضا صاحبات الرأى الذى يقول إننى أضعت فرصة نادرة لرجل كان يمكن أن يصبح خاتماً فى أصبعى ، أنا أتكلم بصراحة ، هان على بنت تقولها " كان ممكن تبقوا أصحاب وكده يعنى " وفهمت ما تقصد .. لكن تربيتى وأخلاقى وأحلامى رفضت أن تفهم ، عرفت فيما بعد أننى عبيطة ، ساذجة ، وأن ثلاثة أربعة خمسة من كل عشرة زوجات لهن رجال ورثوا الخجل أو الأبتسامة العريضة التى تشبه ثلاجات الأيس كريم !

. ومع ذلك "عايشين ، وكل يوم هدية ، وكل ليلة، ألماظات، وسهر".
لكن مرة أخرى أؤكد لست أنا !
أنا لمن يريد ان يعرف .. أقدس الحياة الزوجية بكل ما فيها من تفاصيل صغيرة ومهام صعبة وأدوار كبيرة ، والحب عندى مثل الهواء والماء ، لا حياة بدونه ولا حياء فيه !
ولهذا أنا هنا ، على الفيس بوك أدون اعترافاتى قبل الأخيرة فى ليلة زفافى الثانية والأخيرة .. الأخيرة لأن قلبي يحدثنى هذه المرة أننى أخترت بالحاسة التى تسبق المشاعر ، حاسة سرية تشم رائحة الرجولة، الرجولة التى تجعل الشجر قبل الربيع هنشوفه أخضر ، على رأى أم كلثوم ، وتمنحنا طعم البيوت بكل دفئها وسكونها الممتع ، هذه المرة يتراجع القلب كما سباق الأغنيات فى الأذاعة إلى المرتبة الثانية ، بينما أضع علامات صح فى قائمة الرجل الثانى على اختبارات شهامته، طيبته ، رجولته ، أحلامه ، قوته ، نظراته ، عقله ، قامته ، كبريائه ، كرامته ، دقته .. وهكذا، لست عروساً هذه الليلة ، انما حكيم عيون أفهم فى الرجل الذى أخترته شريك حياتى ، أراه عن بعد .. عن قرب.. بالحقيقة .. بالخيال ، كى يطمئن عمرى أننى لن أقضيه تجارب وأختيارات خاطئة ، فرحى الليلة ولا يهمنى أن أكون أجمل بنت فى الكون .. لكن أن أختبئ آخر الليل فى قلب رجل قادر مائة فى المائة أن يحتوينى .. أسمع منه كلام يشبه جنون الشعراء وبخور الدراويش وطيش البحر وقطرات المطر، أعود فى حضرته طفلة ، فى طلته عصفور، فى ابتسامته نقطة على سطر .

لن أرقص الليلة ، لن أغنى ، لن أدوخ ، لن أضحك كالبلهاء ، أنا الليلة عروس صاحية وليست عروس "بلاستيك" ، أدخل دنيا من جديد وأتمناها دنيا واسعة فيها كل ما تتمناه أى بنت ، الصحبة الجميلة

التى تعنى كل شىء فى مشوار العمر ، يعنى ببساطة رجل أسلم له عمرى فيمنحنى عمرا على عمرى ، بأحلم ؟ .. يجوز .. لكن هى إيه الدنيا من غير حلم نشخبط صورته على كل باب يقابلنا ؟

يبقى أن أصف لكم سيداتى سادتى فى عبارات أخيرة ومختصرة كيف أبدو فى بروفة فستان الفرح ، يبدو الفستان فى المرة الثانية أننى أعيش فى فستان بنت أخرى ، إرتداء فستان الفرح للمرة الثانية حالة من الشعبطة فى آخر شعاع شمس قبل غروبها، يبدو فستان سلف على الرغم من أنه جديد ، إصرارى على حفل زفاف وفستان فرح كان نزوة أعلن ندمي عليها فى الساعات الأخيرة ، قلبى يكاد يهرب من صدرى، هل أنا أرتكب الحماقة نفسها التى قد تؤدى إلى طلاق جديد، لا أحد ينسى الطلاق الأول .. ولا أحد يغفر أبدا الطلاق الثانى !

أريد أن أعيش ، الآن أتذكر أو أتصور أننى كان يمكن أن أحتمل زوجى الأول .. ولا يقولها أحد من أمامى أو ورائى .. امرأة مطلقة .. رصاصة فى القلب .. توجع ألف مرة ولكنها لا تقتل أبدا وهذا سر العذاب منها.

لا أريد أن أعود إلى بيت أهلى بعد الليلة .. إلا ضيفة ، خفيفة ، لطيفة، أنتظر زوجى لنعود إلى بيتنا ، نتخانق، نتصالح، نتعاتب، نتعانق، نكره بعض شوية نحبها شوية نمشيها شوية .. هى الحياة إيه غير شوية حاجات متناقضة .. تصنع أيامنا وليالينا .. أدعو له !

قصتى التى لا تحكى !

ربما أموت قبل أن تقرأ هذه الرسالة !
هل قلت لك إننى مهددة بالقتل بين لحظة وأخرى ، أنا وطفلى أيضا !
آسفة جدا إذا وجدت فى كلامى بعض الارتباك ، أو الكثير من الخوف والألم والرعب .. ماذا تنتظر من امرأة عمرها ٣٢ سنة وتنتظر أن يتسلل لها من أى مكان رجل ملثم يقتلها بمسدس كاتم للصوت أو سكين !
لماذا أكتب لك ؟ ليحمينى قراؤك بدعواتهم .. واسمح لى سوف أخفى بعض المعلومات عن رسالتى حتى لا أفضح نفسى أو مكانى أو أقدم معلومات ضدى ..

تزوجت قبل ثلاث سنوات بشاب وسيم من بلد أجنبى كبير، قابلته فى أثناء دراستى فى هذا البلد ، كان يدرس لى مادة فى علم النفس ، صور لى الحياة معه على أنها الجنة " هكذا هم دائما يصورون لنا الحياة معهم على أنها الجنة "، وصدقته ، كنت أريد أن أصدقه .. كان وسيماً أكثر مما يجب .. وذكياً أكثر من تصورك " سوف أعرف فيما بعد كم هو ذكى جدا إلى درجة الشر"!
عرف أننى وحيدة أبى بثرائه .. فاصطادنى بأسهل الطرق : أعلن إسلامه فى أحد المساجد الشهيرة هناك !

هل هناك حب أكبر من ذلك .. حين يتحول إنسان عن دينه من أجل الحياة مع من يحب .. يجعل قلب من يحبه قطعة صلصال في يده .. لكن النقطة التى تاهت عن عقلى فى زحمة المشاعر العنيفة واللذيذة أننى لم أفكر فى سؤال مهم : هل أسلم بقلبه .. أم بعقله فقط ؟ هل نطق الشهادتين من أجل اختصار المسافة بينى وبينه .. أم من أجل اختصار المسافة بينه وبين الله ؟

كان لا يصلى ولا يصوم .. غرق فى قراءة كتب غريبة عن الدين الإسلامى ومشاهدة بعض البرامج التليفزيونية المترجمة .. ومنها كان يفاجئنى بتعليمات أنفذها دون مناقشة أو تفكير ، كانت المفاجأة الأقوى حين طلب منى أن أقدم استقالتى من عملى والتفرغ للبيت فقط. ووافقت رغم دهشة كل من يعرف حبى لعملى وطموحى فى النجاح وشخصيتى التى لا تقبل القرارات التى لا يسبقها مناقشة وتفكير .

من المستحيل الأن بعد مرور هذا الوقت أن أفسر أو أجد إجابة للسبب الذى جعلنى أتصرف بكل بساطة وعفوية فى أشياء تخص عمرى كله، احتمال لا أنفيه أن يكون الحب الذى صدقته وأخلصت له هو الذى جعلنى أتحول إلى ساذجة بهذا الحد ، كنت أحبه فعلا .. حب جعلنى لا أرى التطورات التى تحدث فى شخصيته ، حب أعمى أسدل ستارة لا تشف ضوء الحقيقة .. فلا أرى كم هو أنانى يتصرف بطريقة منظمة حتى يجعلنى إنسانة حقيرة !

من اليوم الأول للزواج ، هكذا أتذكر، أو أحاول أن أتذكر الآن ، وضع بصماته على كل سنتيمتر من شخصيتى ، أؤكد أنه استطاع بدهاء لم أقابله بدهاء أن يمحو عقلى ، غسيل مخ يعنى ، كل شىء كما يريد هو .. لا كما أريد أنا ، هو أولا وثانيا وثالثا .. أما أنا فليس متاح لى أن أفكر

أو أحاول .. هو يسبقنى إلى كل الأشياء ليقرر ويمحونى .. وكنت غبية مغيبة وسعيدة .. عندما تجتمع الغربة الباردة مع شريك فى الحياة يوهم الشخص أنه يخفف عنه بالتفكير البديل .. تولد سعادة وهمية ودفء كاذب.

صدقته ، حين ضربنى وكنا فى شهر العسل ، ضربنى لأننى لم أضع الأشياء فى مكانها فى منزلى .. يومها بكيت وكنت ضحية .. لكن لم أنتبه إلى أن الصفعة كانت إنذار بالهروب من هذا الرجل والقصة فى بدايتها قبل انتفاخ بطنى بطفل .. يومها خفت من الانهيار المفاجئ لاختيارى .. قلت ، أتذكر أننى قلت لنفسى وكانت دموعى ساخنة على وجهى : ربما يكون هذا هو الزواج !
لم أتحدث مع أحد بشأن صفعتى التى تركت ظلاً أزرق على عينى .. وكنت أمزح مع صديقاتى أن النافذة لطمتنى .. وتكرر الضرب ولم أدرك أبدا أننى فى الصفعة الأولى كنت ضحية وفى الصفعة الثانية تحولت إلى شريكة فى عنفه وإصراره على تفتيتى تماما .

أنجبت فى بيت صغير فى قرية بعيدة، اصطحبنى لها وأقنعنى أنها بيت العائلة .. كان البيت بارداً ومظلماً وفقيراً .. وعدت له وطفلى على يدى .. وطلبت منه العودة إلى بيتى فى المدينة .. بيتى الذى اشتريته بمالى .. فقال بجرأة أتاحت لى أن أطل على جانبه الأسود للمرة الأولى: بعته !
قال سوف نبقى هنا .. لا عودة إلى حياة المدينة .. لا أصدقاء ولا صخب ولا بعض من رفاهية .. وقال ما هو أسوأ : لن تخرجى من هذا البيت إلا للموت !

ولطمت قبل أن أسقط على الأرض .. وظهرت لى سيدة فى اليوم العاشر من وجودى هنا وقالت : لماذا تزوجت ابنى .. لماذا فعلت هذا بنفسك .. إنه مريض ومعقد !
لم أكن أعرف ماذا يحدث ؟ وهل ما يحدث حقيقة أم ما زلت فى سرير أمى طفلة أنام فى حضنها فى أمان فيطاردنى كابوس فتقرأ لى ما تيسر من آيات القرآن لأنام .

أنا الأن وفى كامل قواى العقلية أستطيع أن أقول لك حكمة : الإنسان مهما كان ذكاؤه ومهما كانت قوته من السهل جدا أن يخدعه إنسان أخر بأشياء ساذجة ومخجلة.
خدعنى هذا الرجل كما الساحر حين يمرر السيف فى بطن مساعدته الحسناء دون أن تنزف دما .. ويصدق الجمهور الخدعة ويصفقون على الرغم من أنهم شاهدوا اللعبة الساذجة ألف مرة .. مكررة يعنى وقديمة وبايخة .. وكنت أنا لعبة الساحر !

هربت بأُعجوبة ، لم أتخيل فى يوم ما معنى كلمة إعجوبة ، لكننى الآن تخيلتها بعد أن ساعدتنى أمه على الهروب من هذا البيت . وساعدنى عابر طريق فى نقلى إلى سفارة بلدى .. وجلست أحكى لهم كل ما حدث .. فنصحونى بالعودة مع طفلى إلى بلدى بأقصى سرعة وقبل أن تتدخل السلطات فى الصباح التالى بفرض قيودها فأعود إلى زوجى قهرا ، مضى ما مضى من وقت .. كبر طفلى عاماً وكبرت مائة عام ، والدنيا مقلوبة ضدى فى بلده تطالب برأسى بعد هروبى .. لقد استطاع من خلال الرأى العام هناك أن يصنع من قصته التافهة قصة زوج مخدوع غررت به امرأة عربية فجعلته يخرج عن دينه وعن تقاليده وسرقت طفله وقال : ولعلها تقتله أو تدربه على أعمال

إرهابية! ووجد عشر منظمات وجمعيات تقف معه وتدعمه وتمنحه قوة ومصروف جيب كبيراً من أجل قضيته الخطيرة ضد امرأة عربية ساذجة صدقته فجعلها أخطر امرأة فى العالم !
لو حكيت لك تفاصيل أكثر من قصتى لاتهمتنى بالكذب والجنون ، لقد عشت في السنوات الثلاث وما زلت قصة أكبر من أن تحكى .. لم أقل لأحد قصتى الكاملة خجلا أو خوفا أو محاولة لإخفاء ما يدمى كرامتى . وآمل أن أحكيها يوما وأنا منتصرة وهذا بعد عمر طويل .. لأن قصتى ليست قصتى وحدى .. إنها قصة ملايين النساء العربيات اللاتى يصورهن الإعلام الغربى على أنهن بقايا شهرزاد بأكمامها الطويلة وذيلها الذى لا يجر خلفه إلا خيبة الأمل .

أنظر الآن ـ وأنا أكتب لك ـ إلى طفلى البرىء النائم فى وداعة فى عامه الأول وأكاد أصرخ من الظلم .. وأقول يا رب لقد ظلمت نفسى.. وليس لطفلى ذنب فيما فعلت . وكلما سمعت همساً فى الشارع احتضنته بقوة لأحميه من طلقة رصاصة أو طعنة سكين !
إدعو لى .

هذا الذي إسمه الحب !

سيداتي سادتي .. مساء الخير ، أنا مذيعة معروفة ، وسوف أخفي اسمي عن السطور التالية ليس من باب الخوف أوالحرص أو الندم .. لكن حتى أصبح على راحتي وأنا أتكلم !
اخترت أن أكون مذيعة حبا فى نجوى إبراهيم وسناء منصور وسلمى الشماع .. ومن بعدهن المذيعة الجميلة نشوى الرويني، أنا بالمناسبة أشبه نشوى جدا..حتى فى طريقة كلامي وتفكيري وماكياجي .. لكنها مازالت أكثر شهرة مني .

لا يهم أين أعيش ؟ .. فى القاهرة، فى دبي، فى بيروت .. الشاشات الفضائية جعلت المذيعة الناجحة بلا عنوان .. عنوانها الشاشة حين تضيء بصورتها .. أنا بالمناسبة أحب صورتي جدا على الشاشة .. حين يظهر وجهي على الشاشة أشعر بأنني أمتلك الدنيا .. أشعر بأن كل بيت من المغرب إلى الكويت يشاهدني في هذه اللحظة وحدي .. أتكلم وحدي .. وأضحك وحدي .. وأفكر وحدي .. أحب هذا الإحساس الطاغي الذي يسري فى كل نقطة بجسدي .. إحساس لذيذ يشبه النشوة .. يشبه الماء الساخن وهو يغمرني قبل النوم .. يشبه أحلامي المغرية بالتمدد في الفراش حتى ساعة متأخرة بكسل ورغبة.. يشبه شخصيتي التي تعشق الشهرة والأضواء والثراء و كاميرات المعجبين

حين تطاردني فى مول أو شارع او فى انتظار ضوء أخضر عند إشارة مرور.
أسعد لحظات حياتي حين أكون أمام الكاميرا .. أصبح كاملة الأنوثة.. كاملة اليقظة . رقيقة .. مثقفة .. طيبة .. شرسة .. شرهة لكل نقطة ضوء تسقط على وجهي .. نعم .. أنا أحب كوني مذيعة . هذه المهنة جعلت ملامحي لافتة وجذابة ، مهنة تضيف لي سحراً خاصاً ، تجعلني امرأة أخرى غير التي كنتها قبل أن اقف أمام الكاميرا ، أشعر بأن السنوات الخمس التي مرت بي أمامها جعلتني على الموضة ، متأنقة دائما حتى فى مشواري إلى السينما مع أصدقائي ، وأنا أشرب معهم القهوة وأتناول الغداء وأتفرج على الفاترينات .. دائما دائما كأنني فى بلاتوه كبير ، أتحرك كأنني على الهواء يشاهدني ملايين الناس ويراقبون كل حركة وكل كلمة وكل فاصل !
لا تخمنوا من أكون .. هذا ليس المهم فى قصتي .. فقصتي ما خفى منها كان أعظم !
من اليوم الأول الذي ظهرت فيه على الشاشة لثوان خاطفة .. لم أنم، كنت سعيدة ومرعوبة ، سعيدة بأول خطوة أقترب بها من الأضواء التي أحبها .. وخائفة من كابوس يطاردني، من يومها أرى فيه نفسي أقف أمام الكاميرا، لكن البلاتوه يتحول إلى ظلام .. وأصرخ فيأتي من يحملني ويطردني خارج المكان ويغلق الباب !
وأصحو مذعورة .. ولا أفسر لأحد هذا الكابوس الذي يتكرر بأشكال مختلفة .. لكن بنفس المعنى ، وصوت يصرخ فى قسوة أن أخرج ولا أعود ، فأجد نفسي فى شارع طويل وحيدة في طقس بارد.

كنت أحارب الكابوس بالعمل ليل نهار ، أنا أكثر مذيعة تصور برامج حتى لو كان نصفها لا يظهر على الشاشة ، لا يهم .. المهم أن أصور

وأصور وأسمع صوت المخرج وهو يطلب السكوت للتصوير والكاميرا وهي تتحرك ببطء مثير !
أمس كتبت لك .. فقد حان الوقت لكي أكتب لكي أستريح مرة.. لكي أمزق قناع المذيعة البلاستيك من فوق وجهي وأظهر بدون الابتسامة المطبوعة على شفتي في كل وقت وكل مكان ، بالأمس كتبت لك هذه الرسالة التي تقرأها باهتمام أو بإهمال الآن .. بالأمس تذكرت أنني امرأة ، وبالأمس تذكرت أنني نسيت أنني امرأة !

بالأمس تأكدت أن العمر يمضي.. فقد أطفأت عامي الخامس والثلاثين .. وأطفأت أحلاما جميلة لشخصي كنت تمنيت أن أعيشها فى السنة الخامسة والعشرين .. مضى وقتي وأنا أتجمل كي أعجب كل الناس .. ولم أنفق دقيقة لكي أتجمل من أجل رجل واحد !
هل تفهمني ؟
هل تفهم شعوري الذي فاجأني أمس وكنت على الهواء أناقش الحب فى حلقة خاصة من برنامجي .. يتكلم ضيوفي عن الحب كلاما لم أفهم نصفه .. لأنني لم أعرف شيئا منه ، الحب .. ما هو الحب ؟ ما هذا الكائن الأسطوري المدهش الذى يؤكد ضيوفي أنه لطيف ومبهج .. يدخل القلب فيهزه .. ويسكن الجسد فينعشه ، ما هذا الحب الذي يتكلمون عنه كأنه ملاك يضرب المحبين بجناحيه فيصبحون بلون الحليب وصفاء السماء فى ليالي الصيف الطويلة . ومع من يأتي الحب .. مع رجل ، رجل يربكني من أول لقاء بيني وبينه .. ويتركني أفكر فيه الليلة الأولى دون أن يزعجني .. وأبحث عنه فى الأيام التالية لعله يعود ويظهر .. وأنظر للقمر الساهر وحده في الليلة الثالثة أسأله : هل هذا هو الحب .. ثم يظهر فارسا .. كيف أراه فارسا نبيلا رائعا .. الحب يفعل المعجزات ويقرب القلوب ويكتب قصائد رقيقة على

كفوفنا الصغيرة نتلوها في لقائنا الأول بعد الحب .

وبكيت ، أنا لا أفهم فى الحب .. فهل ضاع وقت مراجعة دروس الحب للأبد .. هل أظل أمية فى الحب حتى الوحدة .. كم سنة تبقت على فرصي الأخيرة فى الحب .. كم حباً فقدته وأنا أطل من شاشتي على مشاهدين لا أعرفهم .. أبتسم فى وجوههم طوال الحلقة .. ثم يذهبون إلى النوم دون أن يتذكروا اسمي أو يبتسموا فى وجهى !

الأن فقط عرفت معنى الكابوس الذي يطاردني ، كنت أتصور أن تفسيره هو خوفي من اليوم الذي لن أظهر فيه على الشاشة حين أفقد وجهي الضاحك بكل شبابه .. وتطل الأعوام بعمرها الحقيقي على ملامحي .. فيأتي صاحب القناة فيطفئ الأضواء ويطردني إلى مصيري الأخير، من هي المذيعة التي استطاعت أن تعاند سنواتها وتستمر ، من هي التي حفرت وجهها تذكاراً فى قلوب مشاهديها ، المذيعات مثل لاعبي الكرة .. تطردهم الملاعب مبكرا .. فتحرمهم من تصفيق الناس حتى آخر العمر !

لكن الكابوس كان أفظع ، كان قلقاً خفياً لم أفسره عن نفسي .. عن أنوثتي .. عن حقي فى حب ورجل وبيت وأطفال . منذ أمس وأنا أفكر في هذا الذي اسمه الحب .. وأقسم لك بالله أننى لم أصادفه مرة فى طريق .. ولم أعرف ملمسه إذا جاء .. وكل معلوماتي عنه كلام سمعته من ضيوفي .. وكلام قرأته فى قصصك ومقالاتك .

فهل هو حقيقة ؟
هل كان يجب أن أحب لأستريح ، أم أخلص للكاميرا والأضواء حتى

النهاية مهما كانت النهاية ؟
دبرني ، أنا أجلس فى بيتي في عذاب أبكي سنواتي التي ضاعت ..
على وشك أن أفكر فى إجازة طويلة أبحث فيها عن هذا الذي اسمه
الحب .

في شمعتى الخامسة والثلاثين لم يكن حولي سوى صديقاتي .. وكنت
أغني وأبكي .

قصة كل يوم .. سبت !

كانت قصتها بسيطة للغاية ، ناهد تخرجت فى كلية الأداب ، فى عامها الأخير مثل كل البنات كانت تبحث عن فرصتها الأخيرة فى شاب من زملاء المدرج المزدحم يتعرف عليها ، تتكلم معه ، تتركه يمسك يدها وهما يعبران الطريق ، ثم تمهد له بأفكار أنثوية صغيرة إنها من أسرة مستورة تبحث عن الستر لبناتها الخمس ، فتختصر له المسافة إلى بيتها وهو يعرف مقدما أن كل ما يملكه وهو يدخل البيت من بابه هو الفاتحة التى سيقرؤها بعد أن يصمت لحظتين ويتشرف ويطلبها للزواج !

هكذا ، تزوجت ناهد .. سامح ، كما تتزوج مئات مثلها بنفس الطريقة كل يوم سبت .. بغرفة مشتركة مع عرائس وعرسان لهم نفس الحال ، وبأشياء مهملة عطف عليهم البعض فمنحوهم فستاناً أو بدلة ، كرسى ومرايا وستارة وسرير !

خرجت ناهد تبحث عن عمل ، وخرج سامح يبحث عن زملاء يجلس معهم اليوم على المقهى يتحدثون فى السياسة والسينما وروايات نجيب محفوظ وبهاء طاهر ، كان سامح يريد أن يواصل الأيام كما مارسها فى الجامعة ، لم يكن يتكلم مع زملائه عن ناهد ، ولا عن زواجه الخاطف منها ، ربما .. ربما كان يرى بينه وبين نفسه أنه أخطأ ، لكنه فى الوقت نفسه كان ينظر لفقره ولبيت أسرته المزدحم بسكانه أنه أصبح الأن

صاحب بيت ، حتى لو كان مجرد غرفة .. يغلقها آخر الليل ، فيتنفس جسده حرية وحياة !
كان يحدث نفسه أن ناهد جميلة ، على الأقل بها مسحة لا تخطئها عين من جمال ، خاصة حين تبتسم ، وحين كانت عروساً .. نظيفة متعطرة متوردة سعيدة ، والأخيرة لم تدم بينهما سوى ليلة .. حين ترك لهم شركاء شقة الزوجية البيت ليلة ، فشعرا معا بطعم الحياة ، وملمس الحرية ، ومعنى أن يكونا سيد بيت وسيدة منزل !

مضت الأيام ، ولا تسألوا كيف تمضى أيام كتلك وتصبح فى غمضة عين .. ثلاث سنوات وطفلين ونفسها الغرفة ، وجد سامح عملاً فى جريدة صغيرة يكتب لها عن أحوال الفقر .. فتنشره فى الصفحة الأولى مقابل مبلغ ضئيل يكفى ثمن سجائر وشاى وجريدة ، وكان قدر ناهد أرحم فعملت فى مجلة كبيرة فى مؤسسة أكبر ، تحصل على مقابل يفتح غرفتها وينفق على طفليها ، كانت لا تقول لا ، تعمل كل ما تجده أمامها ، تحرر صفحة عن طعام لا تعرف مذاقه ومطاعم لا تعرف مكانها ، وتتولى أعمال السكرتارية لرئيس التحرير ، وتساعد زملاءها فى إعداد بعض برامج التليفزيون من الباطن ، فى الأيام التى يجب عندها أن تتوقف فى إجازة وضع .. كانت تختصر إجازتها إلى أسبوعين وتعود خوفا من أن يضيع كل ما صنعته من يديها !

وفى يوم ، حضر إلى المجلة مصور فرنسى ، استقبلته بالنيابة عن رئيس التحرير الغائب ، بينما كان يشرب فنجان قهوته التى أصرت أن تعدها له بنفسها ، قال لها وهو يتأملها بعربية ضعيفة : هل تعرفين أنك تشبهين كليوباترا ؟ ملكة مصر القديمة القوية الجميلة .
فى اليوم التالى كان يصورها فى المتحف المصرى ، ومنحها أجراً كبيراً !

بعدها بأيام ، سافرت معه إلى أسوان و الأقصر و الوادى الجديد ، وقال لها إنه سيصنع منها نجمة فى العالم ، سيحولها إلى موديل تتخاطفها بيوت الأزياء الشهيرة ، كانت هذه المرة الأولى التى تنسى فيها أيامها الأولى .. سامح .. طفليها .. غرفتها .. المجلة .. الفقر .

قال لها وهو يلتقط صوراً أخيرة عند النيل : هل تسافرين معى إلى باريس ؟

دارت حول نفسها ، فى هذه اللحظة وهى تمسك يده وتقول له نعم أسافر ، كانت تفكر فى الطلاق من سامح ، وأن تترك الطفلين فى بيت أمها ، وأن ترى الدنيا ، وأن تتزوج هذا المصور المبهور بها .

حين عادت إلى القاهرة .. فاجأت سامح بطلبها للطلاق ، وفاجأها أنه متزوج بامرأة أخرى عجوز تنفق عليه وعلى أستعداد أن يضم الطفلين معها ، إستراحت بإنتهاء إجراءات الطلاق بسرعة لم تتوقعها ، أصبحت حرة .. حتى من طفليها ، وجدت فى مكتبها بالمجلة تذكرة السفر إلى باريس .. ترددت قليلا وهى تسأل نفسها ماذا بعد ؟ ما هذه الأحداث التى لم تمهلها بعض الوقت للتفكير ، سافرت فى الموعد وحيدة إلى مطار شارل ديجول .. كان المصور فى إنتظارها كما توقعت ، ترتدى جلابية فرعونية ، أخذها على الفور إلى فندق رخيص .. وقال لها بخبث : هذا مكان إقامتنا ، لم تفهم .. لكنها قالت : متى نتزوج ؟ قال : هل وعدتك بشىء من هذا ؟ قالت : ولكن ! قال : أنا متزوج فرنسية وعندى أولاد! قالت : لم تقل لى ! قال : هل أنت غبية ؟ قالت: هل أنت نذل ؟ قال : ولو ، نذل لو كان هذا يريحك ! قالت : أريد أن أعود إلى بلدى! قال : ليس الأن ، هناك عمل يجب أن تقومى به على الأقل لتسددى ثمن تذكرة عودتك . قالت : ألم تقل لى انك تحبنى ؟ قال : قلت ، لكن لم أقل إننى أتزوجك . قالت : خربت بيتى من أجلك

. قال: مسكينة.. ساذجة .. عاطفية . قالت : محرومة ، إن طفليّ لا ذنب لهما . قال : ستعودين لهما بعد شهر .
عادت ناهد ، لكنها حتى الآن بعد سنة .. لم تعد !
لم تعثر ناهد على طفليها .. سافر سامح بهما إلى بلد عربى مع زوجته العجوز ، رحلت أمها ، طردتها المجلة التى كانت تعمل بها بعد أن إكتشفت أنها حاولت الحصول على رشاوى من مصادرها من أجل نشر أخبارهم .

ثم اختفت ناهد .

ما قال لى وقلت له !

احكى لك عن زوجى ، أولا أعترف أننى أحبه جدا ، أعترف أكثر بشرط ألا يفتن أحد ويقول له إننى لم أكن أحبه أصلا لكن سبحان مقلب القلوب ومغير الأحوال !
من أول السطر أقول لكم سيداتى آنساتى سادتى إنها ليست فزورة، كل القصة أننى حين تقدم لى طاهر مصطفى طاهر .. نظرت له فى غرفة الصالون من فوق لتحت وقلت فى نفسى طبعا " بقى هو ده اللى هاكمل معاه بقية عمرى .!وكدت أرقع بالصوت .. وترجمتها: أصرخ بصوت مرتفع .

كان ياما كان ، فى يوم من الأيام دخلت خالتى حورية إلى بيتنا فى ساعة غداء وقالت لنا بصوتها الحنون الهامس الوقور" جايبة لكم عريس لفطومة ". فطومة هى فاطمة هى أنا ، وحتى لا يذهب خيالكم إلى بعيد، لست عانس وقتها ، كان عندى عشرين سنة .. وثلاث سنوات مخبية عليهم و انسحبت طبعا إلى غرفتى..".. مش عارفة إيه اللى جراللى إيه اللى جراللى على رأى الله يرحمه عبد الحليم حافظ فى فاتت جنبنا .. فرحان عايز أضحك .. مهموم عايز أبكى ..".
لأننى حتى هذا الوقت وكأى بنت كنت أحلم .. بفارس وحصان وقصة حب ومشاوير على الكورنيش وأوعي بابا يشوفنى ودبلتين

فضة وذرة مشوى و".. أقضيها ماسيدجات وميسدات وفالنتين داى وقلبين ورق ورنة أنت عمرى على الموبايل ..".

وجاء طاهر مصطفى طاهر إلى البيت فى ساعة عشاء .. وصدمتنى ضحكته التى تشبه صور الإعلانات عن معجون الأسنان ، باردة وممتدة، وفى النظرة الثانية صدمتنى الكرافتة التي اختارها لون القميص والجوارب ، وبما أننى نزلت بنظرى إلى الحذاء .. فقد أحسست أن العريس نزل هو أيضا من نظرى !

نصحتنى فيما بعد طنط حورية وأختي شاهيناز وصديقتى الأنتيم ميمى أن أقبل ، قالت لى شاهيناز بالحرف الواحد " ده عريس لقطة، شكلا وموضوعا ، كفاية إنه مهتم بالتفاصيل ياعبيطة ، عيوبه من وجهة نظرك.. هى مميزاته من وجهة نظر أى واحدة واعية .. لو مش عاجبك.. أختك موجودة موافقة عميانى ".

ولن أقول لكم ماذا قالت طنط حورية لتغرينى .. لدرجة تصورت عندها أنها عينها منه ، وميمى .. قلبت وجهها على شكل ما يسمى باللغة العربية امتعاض .. ففسرت الأمر فيما بعد أنها غيرة بنات ونفسنة ، ودفعنى ذلك إلى التمسك بطاهر مصطفى طاهر !

وفى صباح يوم خميس نشرت إحدي الصحف صورة لى، وهذا الخبر تحت عنوان عروس اليوم : فى حفل كبير يحضره نجوم المجتمع يتم الليلة زفاف الأستاذ طاهر محمد طاهر خبير البصريات على الآنسة فاطمة على السعدنى ، العروس تهوى الطبخ والتطريز وقراءة الروايات الرومانسية .

تزوجنا ، وبعد ثلاث سنوات من الزواج .. تبقت من هواياتى الثلاث: الطبخ فقط !

عادى ، طبعا توقعت ، ما لم تتوقعه هو أننى أصبحت رومانسية بالفعل

وليس بكلام مؤلفى الروايات التى كنت أعيش الحب على خيال أبطالها ، لقد تحولت من الامتعاض كما سبق وو صفت ملامح صديقتى ميمي .. إلى فطومة المحبة العاشقة التى تنتظر رجوع زوجها من العمل على أحر من الجمر، وقد انتهيت من طبق اليوم الذى صنعته بفن فى مطبخى ، وقد إكتشفت أننى أحب زوجى حين وجدت نفسى بعد شهر العسل أعد له طعام الغداء بمزاج ، وقتها فكرت فى سر التحول.. فإكتشفت أننى شخصية عملية واضحة وصريحة وكان طبيعيا أن الحب عندى يصبح حباً ملموساً .. يعنى : لا يهم أن يقول لى طاهر مصطفى طاهر كلمتين حب مع النظر فى العين والضغط على اليدين.. المهم هو أن يلتزم بمواعيد دفع مصاريف البيت وشراء بعض الفاكهة والحلويات أكسترا من جيبه وهو عائد إلى البيت ، المهم أيضا أن أضمن بدون مجهود يذكر أن طاهر ليس له فى العلاقات الغرامية ، وليس له أصدقاء ، أنا أصدقاؤه وغرامياته وحصالة فلوسه !
هذه أشياء لا يعرف قيمتها إلا من جرب طعمها .. ماذا أريد من زوجى حبيبى إلا تلك الضحكة التى لا تغيب عنها الشمس صباحا ومساء حتى وهو يُشخر أخر الليل ، عندما سخرت منها كنت بلهاء.. والحمد لله لقد تعلمت منه نفس الضحكة التى أطلقها الأن مثله بدون مناسبة.. فأشعر أن عقلى أبيض فاضى عصفور فى سماء واسعة بلا قيود ، أى نعم أن أختى شاهيناز أصبحت تنادينى فى التليفون:" أزيك يا لاسعة ".

لكن صدقونى .. اللسعان الذى هو فى أصل اللغة شيء بين الجنون والعته .. هو أفضل حالاً وحل لإنسان هذا العصر ، لقد تعلمت من زوجى حبيبى طاهر كيف أكبر دماغى ، أطنش ، أنفض ، أعمل نفسى ولا أنا هنا ، " قشطة يا عم ، فلة يا سيدى ، حديد يا توتو.." .

أحب زوجي وأرجوكم فكروا معي كيف أسعده ؟ وبالمناسبة ماذا أهديه في يوم ذكرى زواجنا الثالث ، أهديه بيجامة مخططة من التي يقف بها في البلكونة في ليالي الصيف يقشر بطيخ ؟ فكرة .. أم أهديه كرافتة بلوازمها وهو من محبيها، لأنه على قناعة بمقولة توفيق الدقن أن الرجل إيه غير كرافتة !

عندى حل عملي ، بطة مدفونة في طاجن أرز !

أنا وطاهر أصبحنا حلة وغطاها ، نشبه بعض تماما ، حتى إن نفس الأفكار ـ عندما نخرج عن المألوف ونفكر ـ تأتي في نفس الوقت تقريبا ، وأقول تقريبا خوفا من الحسد .. وإذا لم يحسدني الناس علي طاهر .. على ماذا يحسدونني ، إذا كنت أملك زوجاً مطيعاً ولطيفاً إلى درجة أنني أحيانا كثيرة لا أشعر بوجوده على الرغم من أنه جنبي على نفس الكنبة وأمام نفس التليفزيون نشاهد فيلماً لإسماعيل ياسين .. فهل هناك أروع من هذا زوج ، لا نتكلم في السياسة ولا لنا فيها .. ولا عمرنا فكرنا يعني إيه بورصة .. حتى الكورة لنا فيها على خفيف .. بنقرأ الجورنال مرة في الأسبوع .. هو الأهرام يوم الجمعة .. ورقه كثير وفيه ملحق سيارات ، تنزل تطلع تتهبد .. وإحنا مالنا !" طراوة .. أخر طراوة .. شباك حبيبي حبيبي أخر طراوة ".

بالذمة .. أتحسد ولا .. لا ؟

... "... أراهنك لو نشرت الكلام ده في مقالك هتلقى عين كم واحدة على الورق بتحسدني موت .. أصل طاهر مش أي جوز .. ده جوز أصلي ، شربنا سوا محبة واحدة ، وقال لي بحبك بجد وقلت له بحبك موت !"

ملبن بالسكر !

كأنها بطلة رواية "ميرامار" التى كتبها نجيب محفوظ . مارى .. ، ولدت فى ليلة ٣١ ديسمبر ١٩٠٩ ، ربما أطفئت شمعتها المائة فى مكان ما منذ قليل ، ربما .. هل هى الآن كما تمنت أن تبقى على قيد الحياة، فى صباح ممطر يطوى نوة من أنواء الإسكندرية القاسية .. أغلقت نافذتها، ولم تفتحها مرة أخرى ..

سأحكى لك بالتفصيل عن : مارى ، الجدة مارى .. الموحية بكل دفء السنوات الجميلة ، كانت جارتى ، الباب للباب .. والنافذة فى النافذة، أيام كانت الإسكندرية مهبط الذكريات التى لا تنسى .. أيام كانت الإسكندرية مارية وترابها زعفران .. أيام كانت الإسكندرية بداية كل الأشياء البارعة فى سعادتنا .

مارى ، اليونانية التى تخلفت فى رحلة العودة إلى مدينتها على الشاطئ الآخر من البحر .. فبقيت ، قالت إن من رأت الشمس وهى تشرق من الشرق ، صعب أن تتركها وتذهب لتراها من الغرب ، أحبت الإسكندرية .. كما أحبتها الإسكندرية ، خمسون عاما ألا تكفى للحب ؟
خمسون عاما .. تطرح قبيلة ، وهى .. عاشت فى شوارع وأزقة

الإسكندرية وحيدة واحدة ، مات نصفها الآخر حبيبها الشاب المفتون مثلها بالبحر فى المكس والأنفوشى فى الحرب العالمية الأولى .. فأقسمت بالمرسى أبو العباس وأبى الدرداء والعذراء .. أنها ستعيش على ذكرياتهما معا .

اختارت شقة صغيرة فى العطارين ، حى العطور والبيوت القديمة وسوق الجمعة ودكاكين الأثاث العتيق ، فملأتها بذكرياتها ، وصنع يديها من مفروشات كانت يوما كرة صوف مدورة ، وفوق الحوائط صور أبيض وأسود لابتساماتها طفلة فشابة ، عشرة فعشرون فثلاثون .. ويوم رأيتها للمرة الأولى كان عيد ميلادها الخامس والسبعين ، أعدت كعكة البرتقال بكل هذه الرائحة التى لا تخونها الذاكرة ، ودخلت بيتها الذى يشبه الروايات الرومانسية ، ولمست سنوات بعيدة وضعتها فى حرص فى أماكنها المناسبة ، وكان فى إحدى زوايا البيت صندوق قديم ، عليه آخر صورها التى ألتقطتها فى عامها الخمسين ، كانت تبتسم فتكشف الابتسامة عن وجه امرأة محبة للحياة مهما مر بها ، وفى الصندوق تخبئ ذكرياتها الصغيرة ، خاتم حبها الأول ، بطاقة سفر من أثينا إلى الإسكندرية ، شمعة كانت أشعلتها فى عيدها الخامس ، منديل أبيض عليه حرفان لها ومن كانت تحب ، خصلة شعر ، شهادة ميلاد قطتها الرمادية، قلم حبر ، رسائل وطوابع بريد ، فى هذا الصندوق تعيش .. حين تعيش ، حين تستدعى ذكرياتها بهدوء يشبه البحر فى أغسطس . تفتحه فى دهشة وفى لذة وفى خوف وفى رهبة وفى رغبة .. تلمس الأشياء فتلمس عمرا لم يعد معها وحبيبا لم يبق منه إلا ذكريات يهفو لها القلب ويحن .

مارى ، حين تتكلم .. تخلط الحروف المصرية بما تبقى من كلمات

جريجية بما تيسر من رائحة اللهجة السكندرية التى تفتح الحروف وتجمع الضمير وتجعل حرف الهاء فى بداية الكلمات حرف عين !
تحب قطع الملبن بالسكر ، والشاى بالحليب ، والبسكويت المالح الناعم على فمها .
فى يوم ميلادها الثمانين ، أهديتها شالاً من الصوف ، فأهدتنى طاقية من الحرير صنعتها بأصابعها فى رأس سنة ١٩٣٠ ، وأعدت لى طبقاً من كعكة البرتقال ، وقالت : نفسى أعيش ميت سنة !
لكنها ، فى ليلة رأس سنة ١٩٩٩ ، أغلقت النافذة ، وأختفت ، وإلى الأن .. لا أعرف أين إختفت مارى ، إلى أين ذهبت مارى ؟
هى ذهبت .. قال حارس العمارة إنه رآها تركب تاكسيا أصفر ومعها حقيبة صغيرة . أخمن الآن أن بها ذكريات صندوقها القديم !

ما زلت ، كلما ذهبت إلى بيتى القديم فى ديسمبر ، أنظر إلى نافذتها البيضاء وأتخيلها نصف مفتوحة ، وفى الخلف اضاءة خافتة ، تجلس بينهما مارى بشالها الصوفى ، ولا أنسى .. أنها أهدتنى سرها الكبير، حين رأيتها فى ليلة رأس سنة تلقى بزجاجة من النافذة ، علمتنى أن أجلس عند البحر فى رأس السنة وأكتب أمنيات العام الجديد ، كل الأمنيات ، حتى تلك التى أطلب فيها أن آكل الآيس كريم فى الأنفوشى أو أتأمل الفجر على شاطئ ستانلى ، كانت تهمس لى بأن الأمنيات مهما كانت صغيرة أو بسيطة تستحق أن ندونها على الورق فى وداع عام واستقبال عام .. وكنت أفعل ، وأضع ورقة الأمنيات الملونة فى زجاجة وألقيها من النافذة حين ينتصف الليل فى رأس السنة، منتصف الليل تفتح النوافذ فى الإسكندرية ليلقى الناس أشياءهم القديمة ، وألقى أنا أمنياتى الجديدة ، فتتحقق ..
ولمارى فى ذلك حكمة تفسرها ، أن كتابة الأمنيات على الورق تحررها

من الخيال وتحركها إلى الواقع ، ووضعها فى زجاجة والتخلص منها .. يجعلها دائما حاضرة فى عقلك وقلبك فتسعى لأن تحققها يوما بعد يوم .

وما زلت أفعل ، وبعض الأمنيات يتحقق ، وأجمل الأمنيات أبسطها ، تشعل الجسد بالطاقة والرغبة ، ومارى .. أين مارى ، فى رأس السنة أحتفل معها بسنواتها المائة، ومن أجلها تعلمت كيف أصنع كعكة البرتقال ، لأفاجئها .. وأهديها صندوقاً من الملبن بالسكر ونكتب معا أمنيات العام الجديد ، وأوارب النافذة فى ليلة ممطرة باردة وألقى زجاجة الأمنيات التى كتبتها هذا العام مبكرا ..
من أجلها أحمل الإسكندرية أينما ذهبت ، وأعود لترابها مهما ابتعدت، وأضحك مهما كان الحزن ، وأبكى كلما اشتقت لطفولة كانت فيها الأحلام الصغيرة أكبر من مساحة العالم بكل اتساعه ، كان فيها كل شيء أخضر لون شجرة التوت العجوز.. كل شيء أزرق، لون البحر فى نهاية نوة الشتاء الأخيرة التى تشبه مارى بكل عافيتها وسحرها.

أزرق .. كان البحر مثل مارى مسافراً إلى بعيد ، والربيع يبدأ معلنا أن الشمس لن تغيب بعد الآن .. يعطر الأرصفة والشوارع الضيقة بعطر سرى يجعل الجسد فى نشوة وشجن .

عام سعيد مارى .
مائة عام سعيد أينما كنت !

موعد على قهوة .. فى مول زجاج !

مقهى فى مول تجارى ، النهار يطل من سقف زجاجى ، دفء ربيع يبدأ موحيا بحب، فنجان قهوتها ما زال فى منتصفه ، تنتظر منذ ساعة، أو أقل ، هى لا تعرفه ، لكنه سوف يأتى ، هو الذى حدد الموعد والمكان، وهى تظاهرت أنها زبونة دائمة لهذا المول التجارى ، وأنها لا تعرف مذاقاً للقهوة إلا هنا ، لم تأت إلى هذا المكان أى مرة ، تاهت فى الطريق، وسألت وتوسلت وزاغت بعينيها وهى تعبر البوابة التى تصفر بسبب أسورة المعدن الرخيص التى ترتديها ، كان فى عينيها دموع وهى تخلعها وتعبر ، لماذا لم تقل له فى التليفون أنها لا تعرف المكان ولا لها فى المولات والمقاهى التى تبيع القهوة فى علب كارتون، هى تحب القهوة، وتعرف كيف تطهيها على مهل فى البلكونة كل صباح على سبرتاية نحاس قديمة قبل أن تذهب للعمل ، اليوم إجازتها ، قالت لنفسها إن وقفة المحل أوحشتها ، بائعة فى محل للزهور ، تأتيها الزهور فى أوان كبيرة ، تسبقها روائح مذهلة ، ألوان الزهور تجعلها تخجل من ألوانً ملابسها التى فقدت زهوتها من تكرار الغسيل ، هل الفقر عيب ؟ ، الفقر مذلة ، لكن عندها كرامة لا تنكر وكبرياء لا ينتهى، تربى طفلين ، أخويها من أب آخر ، رحل الجميع ، فأصبحت هى الأم الحنون والأب المسئول ، تنفق عليهما من زهرة تضعها بحوار زهرة ولفة سوليفان وفيونكة من حرير ، غالبا أحمر ، هى تحب الحرير

الأحمر ، قالت لها صاحبة المحل ، يونانية عجوز تجاوزت السبعين اسمها جورجيت : أنت جميلة كزهرة الليلك يا رضا ، اسمها على مسمى ، رضا ، راضية إلى أبعد ما يتصور عقل ، وأبعد ما تتصور نزوة رجل خمسينى يتخيل أن فتاة فقيرة فى منتصف العشرينات يمكن أن يدير رأسها الصغير بورقة من مائة أو مائتين ، فساتينها ثلاثة ، احدهما للأعياد والمناسبات ويوم كهذا ، تعمل عند جورجيت نصف نهار ، والبقشيش يكفى ، تقضى بقية النهار أماً طيبة وأباً حازم ، لها حلم هو مفتاحها وهوأن تتزوج رجلاً أرملاً محروماً من الإنجاب يكمل عامه الأربعين ، فتمنحه زوجة وولدين ، لا تريد أن تنجب ، فطفلاها شقيان إلى حد الشبع من الأمومة، تحبهما ، لو كانت أمهما على قيد الحياة ما كان لهما كل هذا الحب ، أحلامهما أوامر لها ، فلماذا جاءت إلى مول تخشى حتى العبور من جانبه ، هذه فرصتها الوحيدة ، مدام جورجيت صاحبة محل الزهور أعطته رقم تليفونها ، تحدث لها ، كان بخيلا فى الكلمات التى قالها ، حدد لها موعداً ومكاناً ، أرمل فى التاسعة والثلاثين من عمره، عز الطلب ، له نبرة صارمة ، عرفت أنه ضابط شرطة سابق ، لا تحب الضباط ، لكنها تريد رجلاً بمواصفات خاصة ، صعب أن تجدها كلها ، من المقهى كانت تطل على فاترينة محل فساتين زفاف جميلة ، تمنت فى لحظة رغبة ، أحدها وليلة حنة وزفاف وزفة ، تحسست شعرها تتأكد أن طرحة الفرح مضبوطة ، ثم قالت بصوت سمعه أثنان على مائدة مجاورة: فستان إيه وطرحة إيه .. بلا قلة قيمة .

علمت نفسها الرضا ، وإحدى وسائل الرضا أن تستغنى عن أشياء كثيرة فى حياة الآخرين ، لكنها صغيرة وجميلة ، لماذا لا تكون عروساً، فستان وزغاريد وزفة صاجات نصف ليلة ، لماذا لم يأت حتى الآن ؟ هل يتصور أننى أبحث عن رجل والسلام ، ضل حيطة ، لماذا

يتصور الرجال أن المرأة حين تريد الستر تتحول إلى وجبة طعام بايتة ، يتأفف وهو يأكلها ، وربما يغير رأيه في اللحظات الأخيرة فيستبدلها بما هو أدنى ، غابت في حيرتها وسرحت ساعتين ، ولم يأت ولم يعتذر، وهي في جلستها ، تقلب في حياتها ، وتشعر بنشوة أنه لم يأت ، انقلبت تفتش في قلبها المغلق عن حب قديم ، فتذكرت محمود ، أين هو محمود ؟ شاب، له عضلات بارزة وضحكة بغمازتين ، قضت ليالى صيف طويلة تفكر في سمرته وبشرته ورجولته ، كان شريكها بجسده المشوق ورأسه الوسيم ، أحبته ، دون أن يعرف أن فتاة في عمره تسكن نفس الحارة الضيقة التى يسكنها تحبه ، لماذا لم تفكر أن تلفت نظره ، أن تقول له ، إنه فتى أحلامها ، لكنه ليس الرجل الذى تمنته زوجا لها وأباً لأخويها ، وأنا ؟ قالتها ووقفت ، لماذا لا أفكر في رغباتي التى أضعها في سابع أرض حتى لا تصحو من نوم أو موت ؟ أنا ؟ شعرت أن هذا المول التجارى الضخم الصاخب الملىء بكل أنواع الحياة ومغرياتها أيقظ ما دفنته وكشف ما تخفيه ، هذا جسد تختبئ فيه رغبات . ممتلئ بأنوثة نائمة ، مغرى وصحو وشاب ، ينضج مثل تفاحة خضراء ممنوعة على شجرة ، فلماذا : أرمل أربعينى لا ينجب ، لماذا لا أصبح أماً ، ينتفخ الرحم تسعة اشهر بوجع لذيذ ، حبلى بالوحم والأماني، هل لأننى رضا، إلى متى ؟ والعالم فيه كل هذه الفاترينات الزجاج تلمع وتعرض دنيا ملونة مغرية ، أيقنت أن الحياة جميلة لا تختصر في أوضة وصالة وثلاثة فساتين ومحل ضيق للزهور وسيارة أجرة بالراكب تنقلها من نفس الشوارع ، المول مدهش ، له أسانسيرات زجاج وسلالم كهرباء تتحرك إلى فوق ، كل شىء في المول يصعد إلى فوق ، أضواء أكثر ، ضحك ودوشة وزحام ، فاترينات لم يبق لها إلا أن تعرض عرائس وعرساناً ، لماذا لم يأت ؟ من يدفع ثمن فنجان القهوة وزجاجة المياه ؟ أدفعها وأحسن أنه لم يأت ، أين محمود ، سوف أدعوه

على قهوة فى المول ، ونأكل ونضحك ونصعد السلالم وقال إيه اضم يده فى يدى خشية أن أسقط ، هل كل هؤلاء أحسن منى ومن محمود ؟ من إخترع المول ؟ فى المرة القادمة أفك الألف جنيه الوديعة وأشترى من هنا فستاناً وشنطة وحذاء. يكفى ؟ ممكن .. وأطلب آيس كريم وأجرب فستان فرح .

حضر الأرمل الأربعينى ، عرفته من رأس أصلع وجورنال ملفوف بين أصابعه ، عملت نفسى مش واخدة بالى ، طلبت الحساب منصرفة وأنا أراه يمسك تليفونه ويرن رنة ويغلق ، نظرت خلفى وأنا أحمد الله أنه تأخر وأن موعدنا كان فى المول .. أين أنت يا محمود الآن ؟

ثرثرة فى مارينا

كان المشهد كالتالى : امرأة فى الخمسين إلا قليلا فى ملابس صيفية ملونة ، شاب في العشرين تقريبا في ملابس البحر الخفيفة ، وامرأة أخرى أنيقة في منتصف العمر ، الثلاثة يلتفون حول مائدة صغيرة وشمسية ومشروبات مثلجة من بينها آيس كريم بالصودا وأمامهم البحر، أزرق عميق رائع ممتد بلا نهاية ..

الصيف فى مارينا المطلة على الساحل الشمالى فى مصر .. مدهش ، يبدو مثل ساحر ماهر ساخر مدرب على المفاجآت ، لا تتوقع ما سوف يكشف عنه الستار بعد قليل .. وهذا أجمل ما فيه . إنه ليس مجرد صيف عادى عابر حار ومحير ، إنه ساخن ملتهب يصنع الحكايات اللذيذة التى تجعلك تعود من الصيف .. بذكريات .

قال الشاب ونفترض أن اسمه تامر : .. «.. إذا حصل نصيب ، زى اليومين دول هنكون أنا وهى هنا فى الساحل بنعمل شهر عسل ..».
قالت المرأة الخمسينية التي تلعب دور الأم وهى تنتفض من عبارة إبنها:..».. وما لك مستعجل كده ليه ، مش لما نشوفها الأول ، جايز تطلع مش من مستوانا ، ولا فيها عيب ، ما تبقاش من أولها ملهوف عليها قوى كده ، لو حست إنك عايزها هتقعد وتحط رجل على رجل..

وتتشترط زى ماهي عايزة .. أتقل ..».
قال الشاب المتحمس :..».. أنا يا ماما بأقول بس كده يعنى .. هو خلاص أتجوزتها ..».
قالت المرأة الثالثة التى تلعب دور الخاطبة أو فاعل الخير :..».. البنت متربية وبنت ناس قوى ، وهتعجبك ، أنا عارفة أنها هتدخل قلبك من أول نظرة ، وأبقى ادعيلى ، بس بلاش يعنى تحكى لها عن أى خطوبات قبل كده ، على الأقل بلاش النهاردة ، مش من أول مرة .. بعدين ، البنت وصلت .. قوم سلم ..».

طفلة جميلة فى العشرين فى ملابس كاجوال سوداء ، الأم فى ملابس بيضاء فضفاضة...
الشاب مرحبا بحرارة من عثر على فتاة أحلامه تخرج عليه فجأة مثل عروس البحر : .. «.. الشمس غابت أول ما القمر طلع .. «.
الأم التى حذرته منذ قليل من التعبير عن رغباته حتى لا يظهر ضعفه: ..«مش قوى كده يا أستاذ تامر ، على طول شايف كل حاجة أكبر من الحقيقة ، تشربوا إيه ..؟ ».

أم الفتاة وقد انتبهت لهجوم الأم المبكر : ..«.. مايا ـ اسم الفتاة ـ طول عمرها أحلى من القمر ومن الشمس .. طول عمرها حلوة وجميلة وهادية ولها حضور وشخصية .. نشرب شاى وإكسبرسو ..».
فاعلة الخير صديقة العائلتين تتدخل لفض الاشتباك : ..».. تامر وحيد الحاجة فوقية ، وهو مدير كل مصانع والده الله يرحمه ، بيشتغل من وهو عمره عشر سنين ، لا راح كده ولا راح كده ، من البيت للشغل ومن الشغل للبيت ، لا لف ولا عرف ولا شاف ، علشان هو بالأخلاق ديه أنا بأدور له على عروسة تسعده ويسعدها .. ».

الفتاة المرشحة للزواج تتكلم بنصف خجل :..».. عمرك ماعرفت بنت في حياتك . طب ولما بتشوف البنات في مارينا بالبكيني أو التانكيني .. يعني بيبقى موقفك إيه ، أكيد بتتكسف ..».

الأم الحاجة فوقية وقد نزل عليها السؤال مثل مفاجأة غير متوقعة:..».. إبني تامر متربي ، ومش معنى إنه ماعرفش بنات قبل كده يبقى خام ويحط وشه في الأرض ، لا .. الشغل عمل منه راجل .. راجل ..».
الفتاة وقد شعرت أن سؤالها البريء تحول إلى موقعة حربية : ..» طنط، أنا مش قصدى ، أنا وافقت أشوف تامر علشان نتعرف من الكلام الجميل اللي سمعته عنه ، إحنا النهارده قاعدين سوا هنا علشان ناخد قرار ننفع لبعض ولا نفترق عن بعض ..»
أم الفتاة مندهشة من صراحة ابنتها المفاجئة : ..».. شكرا على القهوة، نستأذن إحنا ، فرصة سعيدة .. «.
تامر وقد تحمس لصراحة ومبادرة مايا : ..».. ممكن أعزمك على الغدا بكرة هنا في نفس المكان نتكلم أكتر ، بعد إذن ماما طبعا ..»
الأم في غضب : ..».. احنا مسافرين القاهرة النهارده ..».
الفتاة في وضوح وإختصار : ..».. تامر نتقابل نشرب قهوة سوا بكرة الساعة عشرة، موافق ؟..».

تامر بسرعة وسعادة : ..».. موافق طبعا ، ونتكلم على كل حاجة ، كل حاجة ، شكرا مايا .. ».

أم تامر مذعورة : ..».. قهوة إيه وبكرة إيه .. وكل حاجة إيه ، ما فيش الكلام ده طبعا، أنا مش موافقة .. » .
أم مايا في غاية الخجل : ..».. ولا أنا . مافيش مقابلات تاني من

غيرنا..».
الخاطبة فاعلة الخير :..» استأذن أنا ، واضح كده إن دورى إنتهى ..».
تامر وقد حسم الأمر : ..» بكرة الساعة اتنين نتقابل كلنا هنا ، أنا ومايا هنقول لكم قرارنا ، يا نقرا الفاتحة ، يا نبقى أصحاب وإخوات العمر كله ..:.
مايا وقد أشتعل حماسها : ..».. هايل ، كده نختصر ونجيب من الآخر، وعادى يعنى لو ما كانش فيه نصيب ، ..».

تامر يلتفت نحو المائدة الصغيرة التى تجاور جلستهم وكنت أجلس عليها وبين أصابعى جريدة : « .. وحضرتك ، إيه رأيك تبقى معانا بكره الساعة اتنين علشان تعرف بقية القصة .. وتكتب لها النهاية ..».

قلت بحماس من يفتح علبة هدية مدهشة : ... اتنين إلا خمسة أكتب تفاصيل أحدث زواج على بلاج مارينا ، عروس الكاجوال وعريس المايوه ، .. ورهان .. هتحبها !

هل حقا كنت أريد أن أبقى معه ؟

هل قتلت زوجى ؟
كل ما أتذكره : فى السادسة صباحا حين استيقظت لتوصيل طفلى أدهم إلى المدرسة اكتشفت أن زوجى محمود .. مات وهو نائم بجوارى! كان فى الخامسة والثلاثين من عمره ، يعمل فى موقع مهم بالدولة، يتمتع بصحة جيدة ، تزوجنا منذ خمس سنوات ، وعمر خلافاتنا خمس سنوات ، فى حفل الزفاف شتمنى بشكل لا يليق ، ونظرت له فى غضب ، وكنت أرقص وجسدى يرقص وروحى ترقص ، وهو قال لى بعد ذلك إنه غضب من طريقة رقصى ووصفها بأنها مبتذلة ، وقلت له إنها ليلة عمرى ، فصفعنى ونام .

كان الحب بيننا شداً وجذباً ، كان يحبنى .. طبعا كان يحبنى ، وإلا كيف تزوجته من زوجته ، وكيف اتفقنا على الزواج فى أقل من شهر من لقائنا الأول فى بيت صديقة مشتركة تهوى إقامة حفلات خاصة يلتقى فيها الرجال بالنساء فيتفقن بعدها على موعد فلقاء فزواج .. بورقة أو بمأذون . وأنا أيضا كنت أحبه .. كان شرقياً شرساً له نظرات وقحة لا يخبئها عن أحد .. رمق بها كل نساء الحفل .. أما عندى فنظرت له بالمثل وقلت بوقاحة : إلا أنا .. أنا لا أحب من يفتشنى ويلقينى .. يختلسنى ويمسح بصماته ويمضى .

وأحببته .. أحببته من كل مشاعر أنثى محرومة من رجل يفهمها ويحتويها ويجعلها تحلم أحلاما سعيدة وتبدو مشرقة مثل شمس شتوية دافئة ، وقلت له : أنت لى ، أنت لى ولو قلت غير ذلك لى أو لنفسك سأقتلك.. كانت هذه هى المرة الأولى التى أبوح بهذه الكلمة لرجل أحببت فيه وقاحته وجرأته واندفاعه . فقال وهو يحدق فى عينيى : هل أنا مجنون لأرفض عرضاً كهذا .

لم تمض أيام حتى وضعته أمام الأمر الواقع : نتزوج على سنة الله ورسوله.

لست جميلة إلى حد أن ينشطر الرجل أمامى نصفين .. لكننى شريرة إلى الحد الذى ينفذ فيه أوامرى بخليط من مكر ودموع وأنوثة ودلع ومياصة ونعومة ... سكر وملح!

قال لى : وزوجتى ؟ ، قلت له : طلقها .. أنت تستحق .. أنا ، نعم أنا مغرورة فهل هناك رجل لا يحب امرأة مغرورة وفوق غرورها تجعله الشمس التى تضىء حياتها ، تجعله الرجل الذى لا يهزم ولا يقاوم ولا تشبع منه إمرأة أبدا .

أنا .. قليلة الأدب . جدا ، أعرف كيف أصل لأهدافى من أقصر الطرق إليها ، أنا .. رغم قدرتى على تمثيل المشاعر والأحاسيس الفياضة التى تهز أى رجل .. لا مشاعر عندى .. قوية .. قادرة .. بئر عميقة لا يعرف أحد سرها .. وهذا هو سرى .. جاذبيتى .. فى الحياة .. فى حياتى ضحايا أوهمتهم أننى حب يقود إلى النشوة .. وإنتهت أمانيهم إلى لاشىء .. أنا قادرة على أن أجعل كل الأوهام العظيمة تنتهى إلى هذا اللا شىء .

لعبتى متعتى طريقتى أسلوبى .. لكن هذا الرجل كان حبا ، كان .. لقد رحل ، وأنا متهمة بقتله .. لم يقدم أحد بلاغا ضدى .. لم يستجوبنى أحد .. لم يقل إنسان إننى مجرمة .. لكن صديقتى التى تعرفنى منذ كنت طفلة همست لى فى ذكرى رحيله الأولى بكلمة تبدو خافتة عابرة : قتلتيه ! لم أنم ليلتها .. ولم أناقشها .. ولم أتكلم معها أو مع أحد .. واختفيت من نفسى أبحث عن إجابة حقيقية لا أملكها : هل قتلته فعلا .. قتلت حب عمرى ؟

ليلة رحيله كأنها أمس .. بكامل تفاصيلها ، كيف أنساها ، كيف تذهب هكذا بسهولة فأمحوها وكان حبيبى ، صدقنى كان أكثر من حبيبى ، فكيف أقتل حبيبى ، كيف يشكك أحد فى مشاعرى ويلهمنى فكرة أننى قتلته ، قتلته ... هذه نكتة بايخة كالتى كان يرويها لى وكنت أضحك ، خوفا منه .. أو حبا فيه ، حين يختلط الخوف بالحب .. يوصف الإحساس بحيرة أو ارتباك عاطفى .. وكنت معه.. كنت كذلك تماما، الآن .. والله العظيم الآن فقط أكتشفت أننى كنت على حافة بين الحب والكراهية .. لهذا الرجل الذى أنجبت منه طفلى الوحيد ، كان يمكن أن ننجب كل عام طفلاً ، واكتفيت بواحد ، نعم خفت من هذا الرجل بكل قسوته أن يخدعنى يوما ما فأصبح وحيدة مطرودة فى رقبتى خمسة أطفال ، كان يمكن أن يفعلها ، مثله كان يمكن أن يفعلها بسهولة، حين يحتاجنى يتحول إلى لعبتى .. ينحنى مثل ممثل بارع يؤدى دوره فى مسرحية سوف تنتهى حتما بعد قليل ، ثم يتحول إلى كل قسوته حين يغلق الستار فى نفس الليلة ويغادر مسرح العرض ، وكنت فى تلك اللحظات أعشقه ، أمنحه أفضل ماعندى ويمنحنى أروع ما يملك ، وأعرف أن عاصفة سوف تهب بعد وقت قصير ، فهل حقا كنت أريد أن أبقى معه ؟ هل أبقى معه العمر كله ؟ ومزاجه المتقلب ووجهه البارد وصوته الرخامى وأصابعه الرملية .. قلت مرة

لصديقتي: كل أحلامي معه من تراب .. أي نافذة مواربة تهدمها ، وقلت لها : أشعر أنه يريد أن يتخلص مني . لقد عاد لزوجته الأولى .. وأوحيت له أنني آخر من يعلم ، هذه أيامي معه كانت عدا تنازليا إلى حيث يجب أن نغلق الباب خلفنا في عنف ونحن نغادر حياتنا معا .

فهل أنتظر هذا اليوم الذى يهزمنى فيه بكل سطوته وعجزى ؟
هل أنتظر اللحظة التى يجردنى عندها من صندوق مجوهراتى ورصيدى وطفلى .. ؟
أنا ضعيفة اعترفت .. لكنى شريرة أعترف أيضا .
وقد قررت أن أستعد لقرار مفاجئ أو صفعة متهورة ، كان عيد ميلادى الثلاثين وكنت فى قمة أنوثتى وكان الليل باردا واحتفلنا معا وأهدانى خاتماً وانتهينا .
وفى السادسة صباحا وجدته فارق الحياة ، أبلغت شقيقه وحضر طبيبه وهمس فى حزن : أزمة قلبية حادة بسبب مجهود زائد . فهل قتلته ؟
ربما ! لا أتذكر تماما هل وضعت كل الأقراص المهدئة التى اشتريتها فى نفس اليوم فى طعامه .. أم أقل .
لقد مات .. وبكيت وأصبحت قادرة على النوم دون أن يزورنى كابوس قاتم يظهر فيه وهو يقتلنى وكان يضحك .

كلنا يخطط لحياته كيفما تقرر ظروفه .. وهذا ليس اعترافا منى بقتله إنما براحتى .

زوجى العزيز .. لماذا تزوجتنى ؟

أنا ومحسن صديقان قبل أن نكون زوجين !
أنا ومحسن بالمناسبة من عمر واحد ، وعيد ميلادنا في يوم واحد ، ولدينا طفل واحد، ونقرأ لنفس الكتاب ، كل هذه الأشياء المشتركة جعلتنا أكبر من مجرد زوجين ، فلا نختلف على هذه الأشياء التافهة المعتادة التى تستهلك عمر إثنين فى بيت واحد ، ولا نتبادل عبارات العتاب التى اعتادها الأزواج من أول يوم زواج .

واليوم بالمناسبة ، ولهذا أكتب لك ، ذكرى زواجنا من ١٥ سنة ، ١٥ سنة من السعادة والتفاهم والإحترام ، ١٥ سنة لم أهدده مرة بالذهاب عند أهلى .. ولاهو غادر بيت الزوجية غاضبا منى !

زوجة سعيدة ولا تتوقع منى أن أنهى رسالتى لك بفاجعة أو مأساة تسعد بها القراء .. ليس عندى إلا نصائح أهديها لكل زوجة تريد أن تكون سعيدة فى حياتها ، نصائح هى خلاصة تجربتى فى الحياة مع رجل هادئ غامض لا يتكلم أشك أحيانا أنه يعمل فى أحد الأجهزة الأمنية دون أن يخبرنى ، لقد تزوجنى بعد تخرجه فى كلية الهندسة وكنت أدرس فى كلية الطب ، ويوم قراءة الفاتحة فى بيت العائلة قال لأمى إنه سوف يعمل أعمالاً حرة ، وحتى اليوم لا أعرف ماهى الأعمال الحرة التى

يعمل بها محسن .. هو حر ، لم أسأله ، لسبب بسيط .. هو أننى تعلمت الدرس الأول فى حياتى الزوجية : لا تعطى لزوجك فرصة ليكذب عليك .. لا تضعيه في إختبار .. لا تسأليه أسئلة قد يجيب عليك بالكذب !

هو لم يفسر لى ما هى الأعمال الحرة .. وأنا لم أطلب تفسيرا ، كان يعمل مثل أى زوج مجتهد من الصباح حتى المساء .. وكان يوفر لى كل ما أحتاجه ، وكان لديه مكتب خاص فى وسط البلد زرته مرتين أو ثلاث.. واشتريت دماغي ومن يومها تفرغت لعملى كطبيبة فى الطب الشرعى .. ولإبنى !

هل قلت لكل زوجة إن الدرس الثانى فى السعادة الزوجية : اشترى دماغك ! .. الزوج لمن لايعلم مرحلة عابرة فى حياة أى امرأة مهما كان عمر الزواج .. سنة أو ثلاثين .. هل هناك أكثر من ثلاثين سنة زواجاً ؟ .. وبعدها كل طرف سوف يذهب إلى حاله .. فلماذا نفتش فى التفاصيل ونقف لبعضنا على الواحدة طالما أخرة المشوار .. فراق بالموت أو نبقى اثنين إخوات فى بيت !

الحياة رحلة قصيرة جدا لا يجب أن نملأها حشواً فارغاً يسرق النوم من العين ويوجع القلب .. على إيه ؟ .. وأنا أقول للزوجات اللاتى يعشقن النكد : مش مستاهلة يا أختى !

وهذا هو الدرس الثالث : النكد لغة زوجية قديمة تضر بصحة الزوجات قبل الأزواج .. لقد تحصن الرجل بالخبرة من أمور النكد التى تجيدها الزوجات .. أصبح مثل الذباب لا يوقف أى مبيد زنه وهشه !

من وقت لوقت ، أفتعل مع محسن خناقة على الماشى ، خناقة تسخين

للحياة الزوجية، أشعلها وأعرف متى أطفئها فى أقل من نصف الساعة، هذه الخناقة النونو على شيء تافه هى التى نمضى بعدها معا أحلى وأدفأ أوقاتنا الزوجية .. قال إيه بنتصالح !

الدرس الرابع لذوات القلوب المرهفة : مشادة بسيطة لتنشيط دورة الحياة الزوجية .

أما الغيرة ، فقد شطبتها من حياتى مع محسن.. ليس لأنه رجل لا يشجع بالغيرة عليه من فرط صمته .. وليس لأننى باردة ومابحسش.. لكن لأن الغيرة طاقة سلبية تفقد أى زوجين وقتاً مهماً من حياتهما الزوجية وقد تنتهى لا قدر الله بالطلاق .

من الخطوبة وأنا أقدر أن نظرة محسن لأى امرأة هى رد فعل وقتى ، شيء لا أرادى يقوم به الرجل أمام امرأة لافتة للنظر ، فلماذا أحرمه منها أو أعاقبه عليها أو ألفت نظره أكثر أن ما يقوم به ممنوع ، بعد فترة ومن نفسه قرر محسن ألا ينظر لأى امرأة مهما كانت إيه إحتراما لوجودى .. على الأقل واحنا مع بعض ، ولا أعتقد أن محسن لعب بذيله من وراء ظهرى أو حاول .. هو يعرف تماما أننى بحكم عملى طبيبة شرعية أفهمها وهى طائرة وأشم رائحة الخيانة ولو كانت عابرة . لقد ضخمت عنده فكرة أننى أفسر أى تغيير فى مشاعره أو إحساسه وأرصد كل بصمة على جسده .. وكان هذا يكفى ليصبح دوغرى !

مرة قالت لى صديقة إن محسن يخوننى مع امرأة أخرى فى النادى .. أنا لم أهتم ولم تهتز شعرة منى .. وهذه هى القاعدة الأساسية فى السعادة الزوجية : لا تجعل أحد يشككك فى الطرف الثانى مهما كان الأمر ..

لا تجعل أحداً يهز ثقتك بزوجك وبنفسك .. لقد تعاملت مع وشاية صديقتى على أنها مجرد بلاغ كاذب .. ولم أحاول أبدا أن أضيع وقتى فى البحث عن صحة الخبر .. لا تقل إننى ساذجة وعبيطة وأننى قد أكتشف فى آخر الفيلم أن زوجى متزوج بأخرى .. هل نسيت أننى أشم رائحة أى امرأة قد تفكر ولو فكرة أن تمر فى حياته بحكم خبرتى فى العمل !

قد تظن امرأة أن حياتى الزوجية بايخة ومملة ، وأننى زوجة لا قلب لها ، لا تعرف الحب ، لا تحب ، تدور حول نفسها ، سطحية ، عابرة للحياة، لا تهزها كلمة ولا تتنهد بموقف ، أنا امرأة .. داخلى كل المشاعر التى ينكرها البعض عنى .. أنا لست مجنونة ولا أعيش فى مصحة عقلية .. أنا زوجة مختلفة لا توجد مثلى امرأة على وجه الأرض .. وأنا أحاول أن أنقل تجربتى لمن تريد لعل وعسى يفهم أحد أن الزواج السعيد له وجه آخر غير رمادى .

عندى أسئلة كثيرة مؤجلة لزوجى .. لكن : ماذا تفيد لو أننى سألتها . وماذا أستفيد إذا هو أجاب . سؤال واحد فقط سوف أسأله له الليلة ونحن نحتفل معا بعيد زواجنا: لماذا تزوجتنى ؟

١ـ صباح يوم بارد فى شهر فبراير !

سلمى التى كرهت الحب .. كما كرهت الرجال الذين يتكلمون فى الحب .. ومن يحاولون الإيقاع بها باسم الحب !
غادرت سنواتها العشرين منذ قليل ، لم تعد تلتفت لجمالها رغم أنه لافت لنظر الآخرين ، جمالها يبرزه وجهها البرئ الذى يحتمى خلف ملامح تبدو متوحشة ومتوهجة فى الوقت ذاته .

فى الجامعة الأمريكية ،التى تخرجت فيها قبل خمس سنوات، أحبت فتى أسمر سمته الشاطر حسن ، كان حبها قصة قصيرة تداولتها صديقاتها فى نهم وفى حيرة وفى شغف لا يخلو من غيرة بنات ، أحبت ومن أجله أخبرت كل صديقاتها بأنها سوف تنهى دراستها وتتفرغ له هو فقط ، لقصتهما ، للبيت الذى وصفاه معا ، وحده ، ستكون له وحده ، كيف تضحى من كانت مثلها ، بطموحها ، بأفكارها ، بروحها النضرة الجميلة بكل الأشياء التى تملكها من أجل حسن ، الشاطر حسن ؟ أى شاطر حسن ؟
كانت تقول لصديقاتها : الحب مثل الميلاد لا يأتى مرتين ، لكن أشياء كثيرة فى الحياة تأتى مرتين وثلاثاً ومائة مرة !
فكيف تترك لذة الميلاد ولو كان من أجل أى شىء آخر؟
كانت فى الحب .. وردة موحية بكل ما فى الحياة من جمال ، كانت فى

الحب شمساً وقمراً معا !

في صباح رمادى من أيام فبراير ، ذبلت الوردة !

عثرت صديقاتها على هدية عيد الحب مع بطاقة بخط يدها في صندوق القمامة !

لم يعد الشاطر حسن حبيبها ، لسبب مدهش : أنه ذهب يشكوها لأصدقائهما أنها تحبه!

تحبه .. لقد قررت أن تعتزل العالم من أجله ، تحبه .. أنها أهدرت أحلامها وكل طموحاتها من أجل التفرغ له ، قال لهم : أريد امرأة تحبنى بنصف قلب .. وتحب نفسها وحياتها وأحلامها وأيامها بالنصف الثانى !

ولم تصدق أن رومانسيتها المفرطة أصبحت حبلا حول قصة حبها، حول قلبها ، حول مشاعرها .. يخنقها ويقتلها ، وصدقت كذبة الشاطر حسن .. حين وجدت الأصدقاء ينصحونها بالحب العادل ، الذى لا تفرط من أجله في حقوقها ، وسقط الشاطر حسن ، تفتت ، ذاب ، أصبح مجرد رقم على تليفونها لم تمحه ..حتى لا ترد عليه حين يطاردها !

وأقسمت سلمى ، في ليلة كان فيها يوم الحب حاضرا .. بألا تحب !

انغمست سلمى في الدراسة ، في التفاصيل ، أعادت أحلامها إلى الحياة ، بحثت عن عمل يقتل ما تبقى لديها من وقت ، شاركت في أعمال خيرية ، كتبت لصحف مقالات قصيرة ، شاركت في تمثيل مسرحية أقيمت بمناسبة يوم البيئة ، سافرت ، صورت ، وفى أوقات فراغها كانت أصابع البيانو تعزف عليها ما يشبه الحزن !

لا تتصوروا أنها سعيدة ، لا تصدقوا صورتها المعلقة على جدار غرفة الصالون وهى تتسلم شهادة التخرج بإبتسامة ، لا تنسوا حين تجدونها نشيطة مستيقظة عند الفجر كل يوم تصلى وتتلو القرآن وترتدى ملابسها الكاجوال بدون أحاسيس الأنثى واهتماماتها الصغيرة .. أنها

مجروحة !
في الأيام التالية التى سقط منها الشاطر حسن من فوق صهوة حصانه الأبيض، عرفت سلمى المزيد من جرحها .. كان فارسها لا يكتفى بالشكوى منها لأنها أخلصت له إلى الأبد .. كان أيضا : يبحث عن أخرى لا تخلص له ! ، لا تجعله كل حياتها فيموت من الحب .. إنما جزء من حياتها فيتنفس .

"بعض الرجال حسن ".. هذا هو عنوان القصة التى كتبتها ونشرتها فى صحيفة الأهرام يوم الجمعة ، فى نفس اليوم صباحا اتصل بها حسن ، ولم ترد ولكنها إرتاحت أنها أخيرا أخيرا ردت لقلبه الإهانة الموجعة ، اتصل بها ناشر كبير يرجوها أن تكتب له قصص حب قصيرة يضمها فى كتاب يصدر فى الفالانتين ، وأتصل بها مخرج سينمائى يرجوها أن تضيف التفاصيل إلى القصة لأنه يبحث عن قصة فيلم رومانسى موجعة !
كيف يصبح العصفور .. طائراً بلا أجنحة ؟ بلا رعشة ؟ بلا أغنية قبل النوم ؟
سلمى ، أين أخفت جناحيها ، تلك التى كانت لا تكف عن التحليق !
فى مفكرتها الصغيرة كتبت بحبرها المنمق : ..."... صديقتى مى تسألنى : هل كان الشاطر حسن .. حباً ، لماذا لا تخدعى قلبك وتطلقين عليه كلمة نزوة أو اختبار أو وقت لذيذ أو مشوار قصير إلى مقهى سيلنترو فى الزمالك من أجل فنجان قهوة .

معها حق ، أنا تصورت وتصورت وتصورت .. ونفخت فى الصورة وجعلت حسن فارساً .. وقلبى خادماً مطيعاً .. وبعثرت مشاعرى على عتبته ! هو لا يستحق .. لكن: كيف أشفى ؟ الشفاء من أوهام

الحب أشد قسوة وأكثر صعوبة من الشفاء من الحب نفسه !
أوهام الحب .. مثل الصدمات النفسية ، تحتاج جلسات علاج كثيرة أتمدد فيها وأعترف !.. .."

فى يوم ، وكل بدايات قصص الحب ونهاياتها تبدأ بنفس العبارة : فى يوم .. استيقظت سلمى متأخرة ، كان اليوم يوم الخميس ، وهى لا تحب الخميس موعد نهاية الأسبوع، موعد الإجازة ، الجمعة والسبت ساعات طويلة لا أمل فى أن تعبر عليهما بسهولة ، غالبا هى تمارس فيهما نفس الطقس .. تنام وتقرأ وتجلس قليلا مع العائلة وتنام وترد على بعض أصدقائها على الفيس بوك وتخرج وحدها فى الصباح تشرب القهوة فى "كوستا" ، وتكتب .. تكتب ما يخطر على أصابعها وهى غارقة فى الوحدة .

كتبت : ..."... أشعر برغبتى فى الحب ، أنا الأن أكسر تمثالا صنعته اسمه الشاطر حسن ، وأحببته ، من سذاجتى .. أحببته بكل ما كنت أتصور أنه الحب ، بكل عذابى فى الوحدة .. أحببته ، بكل مشاعرى الصغيرة البريئة .. أحببته ، بكل قصص الأطفال التى كانت أمى تتلوها على أذنى قبل النوم .. أحببته . الآن أعلن بكل قواى العقلية .. أنا بريئة من هذا الحب ، من الشاطر حسن ، من نفسى التى أحبت ، من جهلى، من خجلى ، من الأيام التى لم تعد معى ، يسقط الشاطر حسن ... "

٢ـ تلك المجنونة التى تسكننى !

.. هل هذا هو الحب ؟

يجلس بكل رجولته على مقعدى المفضل فى كافيه «سيلنترو» يقرأ نفس جرائدى الصباحية ، يتنفس رائحة القهوة نفسها التى أفضلها ، بين أصابعه قلم أحمر يرسم به أرقام لعبة السودوكو الناقصة فى جريدة فرنسية !

أمامى ثلاثة حلول : أن أطرده من مائدتى ، أن أنبهه إلى عدم الجلوس فى نفس المائدة مرة أخرى ، أن أسحب مقعد المائدة المجاورة وأجلس أتأمله !

وسحبت مقعداً !

شاب وسيم مثل هؤلاء الذين كان يكتب عنهم إحسان عبد القدوس فى رواياته ، شاب من النوع المنقرض من فرط رجولته الشابة ، يدخن فى بطء ولذة ، يشرب القهوة فى وداعة طفل يتمسك بلعبته المفضلة، يقرأ فى صمت لم يعد متاحا ، ليس أمامه لاب توب مفتوح ولا جهاز بلاك بيرى مهمل على المائدة فى انتظار رسالة لن تأتى !

يشعل سيجارته الجديدة .. الثالثة منذ جلست ، فيشعلنى .. كان الطقس باردا فى الخارج ، وفى السماء بدايات مطر .. بدايات كقصتى تماما .

أنا أكاد أحبك .. كتبتها على الورق الأصفر أمامى .. ولصقتها على

ظهر غلاف رواية جديدة للكاتب إبراهيم عبد المجيد أقرأها منذ أسبوع في بطء !
إذا كان ولابد أن أحب .. يجب أن أحب بطريقة مختلفة ، بطريقة مبتكرة ، أن أحب كأميرة وأنا أقف على قدمي ، كرهت الحب يوما حين أحببت راكعة ضعيفة ، كان حبى هزيمة مبكرة ، لقد أعلنت هزيمتى فى معركة كانت في يومها الأول ، في لحظاتها الأولى ، أحببت .. هل كان حقا حبا ؟ كان قهرا .. رجل باسم الحب يقهرنى، يكره أننى أحببته أكثر من نفسى ، وكنت قد قرأت أننى لكى أحب .. لابد أن أبدأ بحب نفسى ، قرأتها مؤخرا متأخرة عن الحقيقة كالعادة ، فى رحلة الصعود القادمة إلى الحب .. سوف أخمن : هل أحب نفسى أكثر ، بعدها سوف يأتى الحب الذى أريد ، متدفقا يملأ قلبي ومعدتى بالسعادة !
هذا الذى أمامى ، المحتل أشياء يومى وتفاصيل صباحى على مائدتى الصغيرة ، يستحق أن أحبه !
هذه المرة الأولى التى أنطق بالحب فيها منذ أعلنت كراهيتى له ، فى لحظة دهشة وصدمة مروعة ، أنا .. الآن أنا ، أنا فى أيامى التى لم تعد أياما ، أحتاج للحب ، لرائحة الحب التى تشبه رائحة القهوة تماما ، إذا فقط أضفت لها رائحة البحر ورائحة جسدى فى مطلع الفجر !

أنا دعوت الله أمس أن يرزقنى حبا ، فى الحقيقة .. دعوته كثيرا ، أمس كان أخرها وأكثرها يقينا ، هل استجاب الله لى ؟ ، هل جئت اليوم متأخرة إلى مائدتى لكى أنفذ ترتيبات القدر تماما ، منذ رأيته .. لابد أن أعترف الأن ، أننى منذ رأيته ، تحرك شيئ ما فى كل جسدى ، شيء كبير ، شيء بين الخوف واللذة ، بين الرهبة والرعشة، شيء عظيم ، أنا .. حياتى تلعب فيها الصدفة أدوارها بكل حرفية ، أحب الصدفة التى تأتى بعد دعاء وإنتظار !

سوف أسميه .. أسميه .. أسميه : أدهم !
هذا الفتى أريد أن أحبه !
أنا سلمى فرج مصطفى فى عامى الثالث والعشرين ، فى يوم سبت، أطلب أن أحب هذا الفتى الذى أقابله صدفة وأمنحه اسم بطل أحلامى : فارس !

فى يوم ، وكم أحب خيالى حين يذهب بعيدا بعيدا ويعود بصورة جميلة فى برواز ، فى يوم .. سوف أرتدى فستان الفرح الأبيض وأتزوج هذا الرجل .. وأصبح : مدام سلمى أدهم !
أنا خيالى جامح ، مجنون ، مدهش ، يدهشنى .. فهو الذى يجعلنى فى عملى أتصور أننى قاهرة المستحيل ، وصانعة المعجزات ، وفى الحب .. ها هو حين طلبت منه أن أحب ، طار وعاد بحب لا يقاوم !
تحررت أنا سلمى فرج بكامل قواى العقلية من مقعدى ، تحركت بأعوامى التى مازالت خفيفة وموحية .. إلى أدهم ، وجدنى فجأة أقف أمام عينيه وهى تقرأ فى صفحة الرياضة .. وقلت ، قلت له : أنا سلمى!.. تسمح لى .. هذه مائدتى ، ومقعدى ، وفنجان قهوتى.. حتى هذه النافذة التى عليها قطرات مطر بجوارك .. نافذتى ، حتى شوف .. هذا الحرف الأول من اسمى كتبته بإصبع روج أحمر على زجاجها !

ابتسم ، أدهم ابتسم ، هذه الابتسامة التى تشبه الجيوكاندا نفسها التى كنت أراها فى أحلامى ، وجلست ، هو لم يسحب مقعد لأتفضل ، أنا .. الآن أمامه ، ساق على ساق، وفستانى عند ركبتى ، يغطى هذا الغرق الذى أصبحت عليه حبا ورغبة !
وجاءت القهوة ، طعمها هذا الصباح أروع ، الحب حين يصبح حبات

بن مطحون يهدينا قهوة شهية ... جاءت لى فكرة حوار بدأته هكذا :..
أنا سلمى ، وهذه المائدة بما فيها ، بما عليها ، بأرضها ، بمصباحها المدلى فوقها ، ملكى ، .. أنت أيضا الأن !
وقال الفتى أدهم بثقة توقعتها وصوت تخيلته : موافق ! .. أنا الآن على أرض مملكتك، وإذا فكرت فى الخروج فبقرار منك .. وإذا قررت الهروب فبإذن من مولاتى !
وبصراحة ... لا أنا ساذج لأخرج ولا غبى لأهرب ..
هكذا ..
هل هناك هكذا قصة تبدأ فى صباح لم أتنبأ له فى أوله أن يكون جميلا أو على الأقل مختلفا عن كل الصباحات المتشابهة التى أعرفها والتى حفظتها إلى حد الملل ..

كان الهواء يأتى باردا منعشا من الباب القريب والنافذة الصديقة .. وكنت أشم الهواء بكل ما فى جسدى من مسام ، كنت منتعشة وفائرة وفاتنة ومفتونة .. أنا المذكورة أعلاه التى حتى وقت كان قريبا أكره الحب، سيرته ومشاويره التى تشبه الدوائر الصغيرة التى يتوه فيها القلب فى النهاية .. أحب ؟ .. وهكذا .. بمحاولة جلاء محتل لمائدتى وقهوتى وجرائدى ونافذتى ..

أكرر : رأيته .. واخترت له اسما .. وطورت خطتى بالذهاب مباشرة إلى المائدة لأحبه !
ما تلك المجنونة التى تسكننى ولم أكن أعرف ..
هذه قصة حب تبدأ من خيالى ومن جنونى .. ولها بقية وهكذا..

٣- تجربة حب مفاجئ !

.. من أى ثقب فى السماء يهبط وحى الحب علينا ؟ ..". دونت سلمى فرج فى مفكرتها الصغيرة سؤالها ببهجة لا تخفى دهشة وحيرة و خوفاً، كتبت عن أدهم ، تجربة الحب المفاجئ الذى وجدته يحتل مائدتها الصغيرة فى كافيه سيلنترو ، كان صدفة مباغتة وأصبح حبا منتظرا ، تكتبه وتتأمله وتأمله أن يكون هو الحب .. الحب، الحب الذى يمحو ذكرياتها القديمة المؤلمة عن الحب ، ويجدد قدرتها على حب جديد بعد أن كرهت الحب .. كل حب ، تشعر الأن أن خلاياها تتفتح فى أنوثة تطالب بحقها الضائع من حب كان يمس قلبها يوما ..

فى تجربة الحب الأولى ، يلمس الحب مشاعرنا بعنف فيصنع داخلنا فراغا لا يملأه بعدها إلا حب أكبر وأكثر دفئا وذكاء ، أدهم .. تجربة الحب الثانية التى تتمنى لها الدوام ، وتصلى من أجل أن يكون كما توقعاتها له : رجل .. رجل !

ثلاثة وعشرون عاما حين تحب مرة ثانية ، تصبح مشتعلة الأحاسيس، تتمسك بهذا الأمل ، ولو كان ومضة أو مجرد خيط رفيع من النور ، أدهم ... ، إنه أدهم ، امتدت جلستهما فى الصباح وفى أيديهما فنجانى قهوة، وعلى النافذة مطر غزير جاء فى وقته تماما ، لكى ..

تطول الجلسة المفاجئة ويشعر كل منهما بشجن وغربة ووحدة وبرد .. فيقتربان ، المطر له إيقاع على الزجاج مثل إيقاع الطبول الإفريقية التى تسبق الحرب و توصف للحب ، وكان مطرا عاشقا محبا رسولا لاثنين على وشك الحب !

حين صافحها أدهم فى وداع يشبه وداع اثنين فى شهرهما التاسع من الحب ، كان هو نفسه لا يصدق ، تلك القطة المتوحشة بشعرها الذهبى المجعد .. تعطيه موقعها على الفيس بوك : سلمى زهرة الفجر ، لم يكن أدهم يعرف بعد أنها تحب الزهور خاصة الياسمين ، وأنها من ضيوف الفجر ودراويشه حين يتسلل إلى يوم جديد على أطراف أصابعه ، لم يتصور فى فراقها أنه سوف يشتاق إليها كل هذا الاشتياق ، كيف يمكن لفنجانى قهوة بدون سكر أن يضيفا للحياة فجأة كل هذه البهجة ، نصف ساعة وبعض الدقائق هل يمكن أن تصبح مقدمة دافئة لحب ، لعلاقة بين اثنين لم يتفقا من قبل على لقاء ؟ هو لم.. تفاجئه تلك الفتاة بجرأتها فى إقتحام مائدته لأنه الآن يعرف أنه هو الذى إقتحم مائدتها وليس العكس ، ابتسم فى التاكسى الذى استقله فى الطريق إلى عمله، مثلها تجعل الإنسان سعيدا مهما كان حزنه !

حين حكت سلمى لصديقتها المخلصة منذ أيام الطفولة مريم .. عن أدهم ، عن الطريقة التى وضعت بها نفسها أمام اختيار قد يثمر حبا، صدمت مريم من الوصف بكل جرأته ، هى تعرف أن سلمى تهوى لعبة المفاجآت كما فى شخصيتها شيء من التفرد والتمرد على كل الأساليب العادية حتى فى عملها ، لكن هكذا ... ".. مرة واحدة تقولى له أنا سلمى وتجلسى معه ويدفع ثمن قهوتك .. ! ".
كانت مريم مندهشة من هذه القفزة غير المحسوبة التى فعلتها

سلمى ، .."..ولو كان شاباً قليل الأدب ..".
وتصرخ سلمى : .."..بأقولك شبه أحمد عز ، طيب ولذيذ وعنده غمازة و هادى كأنه حد كده من زمن تانى ..!..".
.. "..أفرضى بابا شافك ، كنت هتقدميه له تقولى إيه .. مين ده .. زميلى .. صديقى .. جارى فى الكرسى اللى جنبى .. إنتِ مجنونة ! تليفونك معاه ؟..".

..."..ما أخدش تليفونى ، معاه الفيس بوك ، وبعدين .. من حق البنت تتعرف على الولد اللى نفسها تحبه وتتجوزه ، من حقها تختاره لو لقته صدفة .. فرصة ما ينفعش تضيعها ..".

فى الفجر ، أرسل لها أدهم رسالة على الفيس بوك ، ..
..."... شكرا صاحبة زهور الفجر ، أنت إنسانة محترمة ، أرجو أن نكون أصدقاء دائما ...".. كان التوقيع عمر .

كتبت له : .."..أدهم ، أنت أدهم ، وليس عمرو ، وسوف أحكى لك لماذا أدهم ؟ صباح الخير ، ويومك سعيد إن شاء الله . سلمى".

كان يومه الماضى لم ينته بعد .. وكان يومها الجديد يبدأ الأن .

الأن ، كان يفكر قبل أن يذهب إلى النوم بعد إرهاق عمل يوم طويل ، من تكون سلمى ؟ وهل يمكن لفتاة مثلها تعيش فى الزمالك وتعمل فى وظيفة مرموقة و أن تحب شاباً من جلستها الأولى ؟
هل حقيقى ـ كما يكتب مؤلفو القصص ـ أن الحب يمكن أن يختصر المسافة بين قلبين إلى حد الخيال ، هل أول الحب ناعم رقيق كتلك البداية

التى نملكها الأن وتوحى بقصة كبيرة !

أدهم « أو عمر » الذى يعترف همساً بأنه لم يعرف الحب من قبل لسبب بسيط أنه لم يفكر فى الحب أبدا ، كان ـ على عكس سلمى ـ يرى أن الحب خرافة عظيمة يكذب من أجلها الشعراء وكتاب الأغانى ومحلات الهدايا ومصممو الأزياء من أجل الترويج لبضاعتهم .

بعد لقاء سلمى ، يتفتت قلبه فى مفاجأة ويشعر بحنين كبيرإلى أمه ورائحة أمه وابتسامة أمه وحضن أمه .. ويقرأ لها الفاتحة . وعلى قلبه يقرأ الفاتحة أيضا !

ما لايعرفه هذا الرجل !

أكتب لك بعد يوم طويل جدا من العمل ، الساعة الأن الخامسة صباحا، يا دوب عدت من المستشفى وأكلت لقمة ودش ساخن وارتديت قميص نومي وفتحت اللاب توب لأقرأ صحف الصباح ، فقلت في نفسي : وبعدين ؟

أنا مخنوقة وأحاول أن أنسى .. حبل من التعاسة ملفوف حول رقبتي منذ فترة .. لا أحد يفهمني .. لا أحد أصلا يتوقف ليسألني وبالتالى يفهمني .. لا أحد فى حياتى سوى أصدقاء التهمتهم الظروف الصعبة فتوقفوا عن منحي واجب الصداقة في وحدتي ، هل تفهمني .. أنا أكتب عن نفسى فى ساعة متأخرة أو مبكرة من صباح يوم ينذر ببرد ومطر حتى أجد شخصاً يفهمنى .. يشاركنى ولو عابراً ..مشاعر من صعوبتها لا أعرف كيف أغسلها بالبكاء .. لا أبكى .. مع أننى فى حاجة إلى البكاء .. الدموع دواء أصفه أحيانا لمريضاتى فى العيادة .. ومع ذلك أنا لا أملك القدرة على تعاطى نفس الدواء !
ما أجمل الدموع حين تأتى فى لحظة بين ألم وإحباط .. بين ضعف وسخرية .. تصبح الدمعة قطرة ندى تلهم شجرة وحيدة الصبر والأمل.

مهنتى طبيبة نساء وتوليد .. عمرى فى الربيع المقبل يكتمل خمسة

وأربعين عاما .. وبعد أيام يصبح فى تاريخ مهنتى عشرون عاما منذ تخرجت فى كلية الطب .
تخصصت بعد سنوات قليلة فى علاج العقم لدى السيدات اللاتى تتأخر أحلام الإنجاب عندهن .. قرأت عشرات المراجع وحضرت مؤتمرات كثيرة لكى أصبح مؤهلة لهذه المهمة الصعبة الجميلة .. ما أحلى أن تهمس فى ثقة لامرأة على حافة اليأس : مبروك .. إنت حامل!

لا أستطيع مهما بذلت من رهافة مشاعرأن أصف لك معنى وروح وقيمة هذه العبارة وهذه اللحظة عند امرأة فقدت الأمل فى طفل يقول لها يا ماما ، أحيانا بالعشر سنوات .. حتى تكاد المرأة تتعامل مع علاجى لها على أنه فقدان الأمل الأخير وليس تحقيقه .. تأتى لى المرأة مكسورة مفتتة كأنها فتافيت ملح يوقظ كل جروح حياتها ، ودائما كلمتها الأولى والغريبة : أنا عارفة إن ما فيش أمل يا دكتورة !
تخيل أن يتشعبط بأصابعك غريق وهو ينطق الشهادتين ، كيف تنقذ إنساناً من الموت وهو يؤهل نفسه تماما للموت ، هكذا تأتى النساء إلى عيادتى من خلف أزواجهن ، لهن عيون حزينة ووجوه نحيفة ، مهملة كأنها لوحة كانت رائعة ونسيناها فى غرفة مظلمة لا يراها أحد .

زادت الشكوى من العقم أو عدم القدرة على الإنجاب فى السنوات الأخيرة بالمناسبة ، أكاد أقول لك إن نصف المتزوجات يعشن هذه التجربة الصعبة التى تعصف بكبرياء المرأة وقوتها وعنادها الأنثوى، لا تصدق امرأة تعتبر خصوبتها وقدرتها على الإنجاب كلاماً عابراً أو شيئاً فارغاً لايختصر منها أو ينقصها أمام نفسها ، لا تصدق مهما نجحت أو كانت خالصة الجمال شديدة الأنوثة صارخة الرغبة .. ومهما احتفظت بزوجها فى أمان .. تبقى من داخلها ضعيفة مغلوبة ومهزومة ومهزوزة

.. تشعر بأن الله حرمها النعمة الحقيقية التى تعيد للمرأة المعنى من حياتها .. وتنظر لكل امرأة تشبك يدها فى يد طفلها في حيرة وفى حسرة .. يرزق الله التى لم تتعلم والتى لا تملك المال والتى ليست جميلة: رحماً خصباً تلد به بدل الطفل .. خمسة ، فلماذا هى لا تملك نفس الرحم الذى يجعل لإنوثتها قيمة ، سبحان الله ، أستغفر
الله ، حكمة الله ، لكن .. من هى هذه المرأة القوية التى تنظر لحرمانها بكل هذا الإيمان المخلص لمشيئة الله ؟.

قليلات يرزقهن الله صبر أيوب وسماحة ملائكية يتقبلن بها أمرا لا يملك أحد أن يدعى قدرته على التدخل لعلاجه أو تغييره .. قليلات ولست منهن !

هذه سنواتى تمر فى هذا التخصص الذى أحبه ، حباً لوجه الله ، أبذل أقصى جهدى فى مساعدة الزوجات على محاولات الحمل ، أبدأ بإعادة الثقة إليهن فى أنوثتهن التى جفت بإهمالها لعلاقتهن بالزوج ، لا بد أن تعود العلاقة طبيعية تماما وأكثر حتى تكون هناك فرصة للإنجاب حتى ولو تدخلنا بما يسمى بالتلقيح الصناعى ، يجب - وهذا سر المهنة أقوله وأمرى لله - لابد للزوجة أن تكون فى حالة صحية ونفسية وجسدية لاستقبال البويضة الملقحة حتى لا تموت داخلها ، وأشرح للزوجة وأضيف لها نصائح نسائية خاصة جدا لتبدو أكثر إثارة ، أنا أريدها فى رحلة العلاج متوهجة خصبة ، مشتعلة ، كثير من النساء للأسف يفقدن رغباتهن بمجرد فقدان الأمل فى الإنجاب !

لازم أقول لك إننى أصلى لله لكى يمنحنى القوة على مواجهة كل هذا الضعف الذى أراه فى قلوب الزوجات اللاتى يدخلن عيادتى فى

خوف وفى فزع وفى رجاء .. أشعر بهن معذبات من الفضيحة .. ما زالت زوجة فى العام الثانى أوالثالث لا تنجب فضيحة فى عالمنا العربى المليء بالمتناقضات المريبة تجاه المرأة .. مع أنها مظلومة بسبب كل هذا التلوث الذى تعيش فيه خصوبتها .. كيف ترفع رحماً خصباً والأرض ملوثة بمبيدات والهواء ملوث برصاص والطعام ملوث بسموم ، مسكينة الزوجة اليوم حين يمر عامها الأول من الزواج دون أن يتحرك رحمها أو تعانى وحماً أو غثياناً !

وأنا أيضا كنت مسكينة .. فى يوم ما كنت مسكينة .. فى يوم ما كنت عروساً تنظر لها أمها رحمها الله بأمل فى أحفاد يملأون عليها بيت العائلة الذى أصبح مهجورا برحيلها ، وكنت زوجة محبة للحياة يملأها أمل فى النجاح وفى الأمومة ، وبعد سبع سنوات من الزواج قال لى زميلى الذى يعالجنى : ما فيش فايدة .. رحمك يرفض أى محاولة للتلقيح .

وعدت إلى زوجى مبتسمة فى طيبة لا أدعيها ، وأعترفت له بأننى لن أكون أماً أبدا .. هكذا مشيئة الله .. وهذا هو رأى الطب الأخير.

وخيرته بين حياة يصبح فيها كل شخص طفل الآخر.. يلعب معه ويسعده ويلهو بطفولته أو الطلاق .. فإختار بكل ثبات الطلاق .. قال من ضمن ما قال إن ثروته سوف تذهب – إذا لم ينجب – إلى اشقائه .. فلماذا لا ينجب طالما لم يحرمه الله هذه النعمة؟ .

وذهب وعرفت أنه تزوج قبل أن أقدم له أقتراحى الأخير بالطلاق .

كم عام مر وأنا وحيدة .. ؟

هذه سنواتى الأربعون تكاد تمضى تحمل الأمنية المستحيلة فى صمت ، أعيش لكى أساعد أخريات على الإنجاب .. وعلى عدم الطلاق الذى جربت مرارته حين يأتى بسبب نقص فى قدرتها على أن تكون أماً ..

أعمل ١٥ ساعة فى اليوم لأرى أطفالا يولدون بمشرطى فأحملهم إلى أمهاتهم كأننى أحمل لهن دليل براءتهن وتاج كرامتهن .
فى عيادتى .. صور خسمائة طفل لهم ابتسامة ملائكة.. هؤلاء أطفال عينى .. أطفال قلبى .. أطفال تعبى وسهرى وإيمانى بالله .. حين أمر بأصابعى على صورهم أشعر بالفخر والدفء .. لكن حين أغادر إلى بيتى بعد جراحة متأخرة وأجلس وحيدة كما أنا الآن .. أشعر بكل حبل سرى قطعته يلتف حول رقبتى يخنقها .. فلماذا أنا ؟

لماذا هذه الإبتسامة التى أستقبلها على يدى وتلك الصرخات التى لا تعرف أيهما صوت الأم وأيهما صوت جنينها الذى يرى الحياة للمرة الأولى .. ليست لى كما كان يجب أن أكون .
صدمتى الموجعة أننى منذ عامين توصلت إلى علاج لإحدي الحالات التى تشبه حالتى تماما .. كنت أدعو الله أن ينجيها من مصيرى .. وسهرت لكى ننقذ اللحظات الحرجة من موت الحلم .. وأنجبت .

حدثت هذه المعجزة التى كتبت عنها الصحف .. بينما كان عامى الثالث والأربعين يمضى .. وكنت وحيدة بدون رجل كما حالتى الآن .. فهل أتسول رجلاً يمنحنى الأمل الأخير .. ويرفع رأسى ويعيد لى كبرياء أنوثتى المكسور ..

كانت المفاجأة التى جعلتنى أضحك من الصدمة هى أننى اكتشفت بالصدفة أوراماً فى الرحم .. فمن أى مصير أهرب بعد الآن ؟!

كما تفعل النساء كل يوم !

أحب زوجى إلى درجة الجنون، وأغير عليه إلى درجة الجنون، أغير عليه أحيانا من نفسه إذا نظر فى المرأة دقيقة .. وكثيرا من نفسى لمجرد أن أتصوره مع امرأة غيرى ، أموت لو مرت بنا امرأة جميلة .. فينظر لها من تحت لتحت، أو تنظر له بوقاحة وعينى فى عينها دون مراعاة لمشاعرى، هكذا النساء الآن .. ولا داعى لأن تقول لى بطريقتك المتوقعة: ليس كل النساء، لا كل النساء .. أنت، ولا كل النساء .. هن!

كل النساء صدقنى أنا ، كل امرأة تنظر للرجل الذى تملكه امرأة أخرى.. ،هل وجعت قلبك بعبارة : الرجل الذى تملكه امرأة ، أرجوك لا تقاطعنى .. كل رجل متزوج هو ملك لزوجته .. وفلسفتى فى ذلك أن الرجل يملك كل شىء.. والمرأة تملك الرجل فتملك كل ما يملكه: بيته وقلبه ونفوذه وفلوسه وحياته وسلوكه وتصرفاته وأفكاره . هل تريد من أى امرأة أن تكون ملاكاً .. فتترك زوجها يفكر كما يريد ويتصرف كما يشاء ويكسب وينفق بالطريقة التى يحبها ، هل تريدها أن تتركه هكذا حراً كما ولدته أمه يمشى على " حل شعره " !

الرجل لا يترك حراً إلا بالموت .. موته هو طبعا ، أما ما قبل ذلك .. فشعارى : لا تتركى لزوجك فرصة للتفكير .. إلا فى كيف ينجو من غضبك ومشاكله معك !

أنا خبيرة بالرجال ، هذا صنف يجب أن يظل مطاردا بالغيرة، بالشك، بالنكد، بالحيرة ، ولو كنت أكملت تعليمي بعد الثانوية العامة .. كنت أخترعت فصولاً لمحو أمية النساء في فن التعامل مع الرجال على طريقتي الخاصة . ومع ذلك فأنا أعلم حصصي بشكل عملي مع زوجي .

لكن الغيرة ، شيء في نفسي ، شيء في ضعفي ، شيء في أعصابي التي لا تحتمل وجود طيف امرأة أخرى في حياة زوجي ولو كانت أمه، أنا أغير على زوجي من يسرا في فيلم السهرة ، من هند صبري على غلاف مجلة ، من وزيرة البيئة ولو كانت خبراً بالجريدة ، من .. وطبعاً من زميلاته في العمل ، هذه الغيرة هي التي جعلتني زوجة في عامها التاسع حتى الآن ، لو كان قلبي أبيض مثل اللبن الحليب ، بلهاء ساذجة خايبة مثل نساء كثيرات ، أفوت وأطنش وأخاف على قلب زوجي من جرح مشاعره الملهوفة على ضل امرأة تشغله أو تنفخ فيه فيتصور نفسه طاووساً ملوناً تموت في نظرة منه ويموت في تسبيلة عينيها ، كنت ضعت ، خلقني الله غيورة لكي اقتل أي محاولة إعجاب قبل أن تصبح مشروع حب.

ومع ذلك، أنا طيبة، حنونة، لا أشخط في زوجي ولا أمسك في رقبته، أنا فقط أحذره بلطف وأراقبه بحذر وأحافظ عليه ببعض النكد من حين إلى آخر دون أن أتهمه في امرأة أو أفتح عينيه على أخرى. وهو يعلم أنني مجنونة وعلى شعرة .. ولو قطعها سأتحول بدون جهد إلى قط شرس أو كلب سعران .. هو يعرف ويتجنب جنوني ويبتعد عن كل ما يثير الشك في عقلي الباطن ، وهو .. أنا أحبه ، أحب هذا الرجل الطيب الذي يتجنب عاصفتي قبل أن تقوم وبركاني قبل أن يثور .

لقد جعلت منه رجلاً مثالياً .. وأرجوك رش فى عيون قرائك من النساء الملح وضع خمسة على السطر وخرزة زرقاء ، رجل يعامل مشاعرى كأنها سجادة حرير ناعمة يلفها حول رقبته .. منتهى الرجولة أن يصبح الرجل مرهف الحس يخشى على مشاعر زوجته من الخدش ، هو يفعل ذلك .. ويهمس لى أن حبى له حياة وغيرتى عليه إبداع ودفاعى عنه هو دفاع مشروع .

ويحبنى ، هو يحبنى ، هل تظن أن له رأياً سرياً آخر، لا يحبنى ، يخدعنى، يضحك على قلبى كل هذا العمر ، هل تظنه فى الخفاء .. يقول عنى كلاما لا يقال ، هل تتصور أننى بغيرتى أخنقه ، بجنونى أقتله، بخوفى عليه أرهقه ، بنكدى أحول حياته إلى جحيم !
لا تحاول أرجوك أن تشوه قصة حبى ولا طريقتى فى الدفاع عن زوجى، لا تمزق الصورة الجميلة التى أتخيلها لأحلام زوجى، وهو يكاد يموت من السعادة التى أوفرها له بين الحين والآخر!

أكتب لك ، تذكرت الآن لماذا أكتب لك ، أكتب لكى تنصحنى ماذا أفعل لأقنعه بالخروج من البيت ، مر اسبوع دون أن يخرج من البيت، لم يعد يذهب لعمله ، حصل على إجازة طويلة وقال لى إنه يفكر فى الاستقالة ، لم يعد يذهب للسوبر ماركت والمقهى و النادى حتى مع الأولاد ، يجلس فى غرفته زاهداً فى مشاهدة مباراة كرة القدم التى يحبها ، ممتنعاً عن الجلوس معنا على مائدة طعام واحدة ، نائماً تقريبا أو شارد فى ضوء الشباك المغلق !

تعيسة ، أنا الأن تعيسة ، زوجى مضرب عن الخروج إلى الحياة ، وأنا حزينة لأن موقفى صعب للغاية ، فقدت جزءاً عزيزاً من نفسى ، فقدت

غيرتى التى مضى أسبوع دون أن أمارسها ، صعبة جدا الحياة بدون غيرة ، وبدون نكد وبدون زعل !
لا تسألنى كيف أعيش أيامى بدون أن أبذل أى جهد للدفاع عن زوجى العزيز .. حبيبى الغالى ، هذه قسوة لم أتوقعها منه .. هذا قلم مفاجئ لا أستحق الحصول عليه .. كل يوم أدعو الله أن يشفيه ويخرج من غرفته إلى الدنيا الواسعة .. إلى الشارع إلى العمل إلى الناس والنساء .. إلى هذه العيون التى تحسدنى .. فتشتعل الغيرة الجميلة فى قلبى .. وأقلبها نكد ..

قل لى من فضلك كيف أقنعه بالخروج مرة أخرى ، هل حسدونى على غيرتى .. أم حسدوه على زوجة مثلى تجعل حياة زوجها دائما لذيذة، مشتعلة، مبهرة، ساخنة، هل قلت لك إن الغيرة هى ملح الحياة الزوجية ، والنكد هو فلفل الأيام التى يجب أن تبقى متقلبة بين الحزن والسعادة ؟

أنت رجل وتعرف تماما جنس الرجال وأفكارهم السرية ، هل تظن أنه مكتئب من أسلوبى فى حياته .. أم أنه كما أشك يمر بمرحلة هرشة الأزواج المعتادة فى هذا الوقت؟

لا تقل إن هذا هو أفضل عقاب لى على غيرتى المجنونة ونكدى المبدع .. لا تقل لى إن حبى .. هو السبب ، لا تقلها .. هل ذنبى أننى لا أحب غيره ولم أفكر مرة أن أنظر إلى رجل آخر كما تفعل النساء كل يوم ؟!

كل يوم جمعة .. قصة حب !

أنا بسمة .

أو كنت بسمة ، كنت .. أشياء كثيرة فى حياتى كانت .. ولم تعد كذلك !

كنت بسمة على وجه طفلة صغيرة اسمها بسمة ، طفلة لم تعرف يوما معنى الدموع أو ما هو الحزن ، كنت طفلة لا تشبه الأطفال فى أوقات البكاء والغضب ، حتى لو خطف أحد لعبتى .. أو كسرها ، كانت إبتسامتى دائما فى مكانها .. عند حسن ظن أمى بها ، وكانت ترقينى وتغسلنى بدعواتها الدافئة الحنون فى سرها خوفا من العين وقلقا من الحسد !

ورحلت أمى ...

رحلت فى هدوء يشبه وجهها البرىء ، يشبه صلاتها فى خشوع ، يشبه صمتها حين كانت تتلقى الصدمات فى صبر فتقول جهرا من أعماق قلبها : يارب .

يارب ..

يارب .. أقولها كما كانت تقولها .. فتهبط الملائكة إلى ضلوعى الصغيرة وتحتضن صدرى المرتعش .. فأطمئن وابتسم .

يارب .. أين أمى ؟ أين صوتها العذب ، أين قلبها المرهف ، أين كفاها لأختبىء فيهما من هذا الخوف الذى لا يعبر ولا يموت ، أين أبتسامتها

التى كانت قنديلا أضيىء به ابتسامتى ، أين صدرها الطيب لأحتمى به من نفسى ومن الأخرين ، أين سجدتها التى تطول فتمحو ذنوبى ، أين عطرها الذى كان يشبه شجرة الياسمين فأدخل على كتفها الأيمن الجنة !

أنا بسمة .. كنت بسمة .. حتى بعد أن رحلت أمى على فراش أبيض دون أن أضع على جبينها قبلة تليق بوداع أخير بين حبيبين ، ماتت فجأة .. أو كنت أظنها تركتنى فجأة فى صباح بارد دون أن تخبرنى أنها راحلة إلى مكان بعيد ، بلا عودة .. بعد سنوات من رحلتها الأخيرة .. عرفت أنها لم تمت فجأة كما كان ظنى .. كانت مريضة بهذا المرض المؤلم الموحش الذى يأكل الجسد وينهشه ويعذبه حتى النهاية ، ولم أرها يوما تشكو أو تتألم أو تتأوه أو تعض على أصابعها ألما ، كانت فى وجهى تبتسم .. وكانت فى وجه الله تحمده وتشكره وتزداد رغبة فى لقائه ، وكنت .. كنت أنا نقطة ضعفها ، وحيدتها الصغيرة التى تذهب وتتركها صغيرة أمام أيام بعواصفها لم تأت بعد ، كنت .. كنت أنا الدمعتين اللتين راقبتهما مرة تهبطان من عينيها وهى تمسح بأصابعها وجهى كأنها تريد أن تشبع من ملامحى بكل حواسها .

كنت أنا .

كنت ...

تزوج أبى .. كلمتان أكتبهما بأصابع مرتعشة ، بقلب باك، برغبة لا أخفيها فى الحزن العميق ، كنت فى الخامسة عشرة من عمرى ، ولو عاشت أمى ولم تذهب إلى هذا المكان البعيد الذى يخطف الأحباب ويخبئهم بعيدا عن عيوننا ، لكانت فى عامها الأربعين .. فى روعة أنوثتها . كم أحبك ياأمى .. وأشتاق وأشتياق طفل فى يومه الأول لرحم أمه . لا أمنع نفسى من سؤالها حين تزورنى فى حلم جميل :

لماذا مت يا أمي ؟ في الأيام التي قضيتها مع جدتي بعدها أصبح السؤال : كيف أراك يا أمي .. كيف أذهب لك ؟

من يومها ، أسأل نفسي : لو كان المرض هو وسيلتي لأذهب لها .. لماذا لا أمرض وأستريح .؟
كنت أحب لقاءها .. وأخشاه .
أحب الحياة حتى بتلك النقطة الصغيرة الضئيلة المعتمة من النور .. وأحب الموت بكل غموضه ووحشته لأنه الطريق إليها .

حتى أحببت .
جاء الحب بين لحظتين من الأمل والألم ، جاء مبتسما كما كنت أقرأ عنه ، جاء رافعا رأسه باسطا يديه صافي القلب صادقاً في المشاعر التي أحسستها يوم عرفت أنه الحب ..
فأحببته .. وأحببت الحياة . وهمست لأمي في الحلم : سامحيني يا أمي .. لا أريد أن آتي لك الآن ، لن اكون معك قريبا ، أنا أحب .. وضحكت أمي ، وضحكت ، وباركت لي قلبي ، وحكيت لها كل قصتي معه ، وتكلمنا في سر بين أم وأبنتها عن عواطفي وعن رأيها ، وتشاورنا في تفاصيلي الصغيرة ، ماذا أرتدى في أول لقاء ، وكيف أستقبل منه كلمة الحب الاولى ، بماذا أرد ؟ هل أخجل ؟ هل أرد له الكلمة .. كلمتين ، كيف أكتشف نواياه ، هل هو على حب ، أم يمثل على قلبي الصغير الحب ، .. أمي ، هل أتزوجه ؟ .. هتفت أسألها ، فضمتني لصدرها ، ولم تجب !
أمي .. تعالى معي ، سوف أقابله في نفس المكان الذى كنت أنا وأنت نذهب إليه كل يوم جمعة لنأكل الآيس كريم .. ولم تتكلم .

وأحببت .. هذا الفتى الذى وجدت فيه حين تأملت ملامحه .. كثيراً من ملامح أمى !
مدهش يفاجئنى بأشياء كالتى كانت أمى تفعلها ، نفس الهدايا .. نفس الصمت .. نفس الصلاة الهادئة إلى الله ..

واختفت أمى من أحلامى .. عبثا حاولت أن أرجوها قبل النوم أن تأتى .. أريد أن أراها .. أن أتشاور معها .. أن أصف لها مشاعرى .. وأسألها تلك الأسئلة المحرجة الصغيرة التى لا يصح أن أبوح بها إلا لها .

من هذا الفتى الذى تسلل إلى حياتى ليكتبها من جديد ، ويكتبنى من أول السطر وأول الصفحة وأول النهار .. كنت .. كنت سعيدة والحب يكبر ، حب حقيقى دافئ يملأ كل كيانى بالحيوية والحياة .. كان يؤرقنى بين الحين والحين خوفى على مصير هذا الحب ، كما كان يعذبنى غياب أمى المفاجئ عن أحلامى ، وكان يرعبنى .. أن فى كل هذا الحب وكل هذه السعادة .. يداهمنى مرض وأموت !
دائما الفرحة .. ناقصة ، فى تفاصيلها شئ مخيف يذكرنا أنها قد تزول فى لحظة ، فنتعذب بهذا الخوف ونحن فى وهج السعادة .
وقد حدث لى ما هو أفدح من مرضى ومن موتى .. مات حبيبى ، كيف مات ؟ على فراشه ـ هكذا ـ لم يستيقظ كما وعدنى فى الصباح لنذهب معا إلى قبر أمى فى ذكراها، لنقرأ لها الفاتحة .. ونخبرها أننا سنشترى دبل الزواج هذا المساء .... ونقرأ الفاتحة ليبارك الله حبنا فى أوله .

لم أبك ، لم أر فى عينى دمعة واحدة ، لم أهتز ، لم أسقط ، لم أتلاشى .. ويقولون إن هذا غاية الحزن .. أن تحزن واقفا صلبا صامدا ، وتقول لى

جدتي :" ابكي ، أكسري النوافذ وأواني الزهور " .. ولم أفعل ..

وعادت أمي تظهر لى في الحلم .. تواسيني .. وكانت تبكي ، أول مرة أراها تبكي .. كل هذا البكاء ..
وكنت .. كنت بسمة!

حدوتة من حواديت أمي !

الناس لبعضها ، أفتش فى الحياة حولى عن الناس .. لعلنى أجد هذه الصورة الجميلة التى اقتبستها من حواديت أمى ، الناس لبعضها ، إذا صحت فسوف تكون الحياة سعيدة كما يجب وأكثر ، لن يتسلل إلى القلب خوف أو رهبة ، فكل هؤلاء الناس .. أنت ، تحكى لى أمى من بين ما حكت أنه كانت هناك عصفورة صغيرة تحب أن تفعل الخير لكل من حولها ، تساعد أصدقاءها العصافير فى بناء عش من القش فوق شجرة ، تنقل بقايا الحبوب من الأرض إلى أفواه صغار ليسوا من دفء ريشها ، تطير لتبحث للأرانب البرية عن نبع ماء أو مساحة من الحشائش الخضراء اللذيذة وترشدهم إليها ، تنبه البط العائم فى بحيرة فى أمان الله أن هناك تماسيح جائعة فى الطريق إلى التهامها ، عصفورة بريئة تحب الحياة ومن فرط حبها للحياة تحب أن يكون كل من حولها سعيدا ، تفكر فى نفسها فى اللحظات المتبقية من يوم طويل يبدأ عند الفجر ، تتذكر أنها لم تأكل شيئاً النهار بطوله ، وأن عشها البسيط هزته عاصفة فسقط ، تلتقط من الأرض بعض حبات رمل تأكله فى رضا، تشبع فتفرد جناحيها المجهدين من طيران طويل وتنام بين غصني شجرة ، وتصحو قبل أن يؤذن أقرب ديك لها ، تغنى ، عرفت أن هناك طفلا مولوداً فى كوخ بالقرب من شجرتها ، عرفت من بكائه الطويل المتقطع ، فاختارت شجرة صغيرة قريبة من نافذته ودبرت

ثلاثة مواعيد من يومها لتغني له ، فيسكت ، كانت سعيدة بالحياة التى تعطى فيها الآخرين دون أن تسأل لماذا أفعل كل هذا ، لماذا أضحى من أجل غيرى، لماذا لا أعيش لنفسي ، أبحث عن قشاً طرياً ناعماً طويلاً أصنع منه على مهل عشاً وثيراً دافئاً على شجرة يتدلى منها عناقيد عنب طازج وتحتها غيطان قمح وأرز ، أصحو عند الظهر وأمد جناحى فى شمس دافئة لذيذة ، أحب فى كل يوم عصفوراً شقياً ، أهذب من أجل عينيه ريشى الملون ، وأنام قبل الليل بعد عشاء دسم .

لكنها ، لم تفعل ، فهى وجدت متعتها فى مساعدة الآخرين ، فى أن يكون لها دور تقوم به كل يوم ، ما أجمل أن نغمض عينينا على مشاهد صباح مضى رسمنا فيه إبتسامات رائعة على وشوش من نعرفهم ومن مروا من هنا مرور الكرام .

وفى يوم ، كان المطر غزيراً أكثر من أى توقع ، بلل ريشها حتى اصبح ثقيلا ، تحاملت على جسدها النحيل ، وقفزت من غصن مبتل إلى آخر ، ثم طارت تسعى على سعادة أول من تقابله فى الطريق ، فسقطت فى بركة ماء عميقة .. وظل جسدها هزيلا يطفو فوق الماء ويتألم ، وصمتت دون أن يسمع نداءاتها أحد .

عبر تمساح يعرفها فقال ساخرا : ماتت العصفورة التى كانت تنقذ البط من الموت بين فكى ، أحسن ، الآن أستطيع أن أعيش فى سعادة ، أن أفاجئ البطات اللذيذة وألتهمها على مهل ، عبر حمار وحشى ورأها.. فقال بسخرية وشماتة : هذا مصير كل من يساعد الآخرين وينسى نفسه ، وضحك ضحكته التى تنبئ أنه حمار كبير مهما حاول أن يغير جلده ، عبرت غزالة رشيقة معجبة بقوامها فنظرت نحوها

بشفقة ثم أغمضت عينيها ألما من المشهد ، ومضت فهى أرق من أن تمد يدها لتهز عصفورا لتعرف هل مازال يحمل بين جناحيه نفساً أخيراً .

سقطت الأمطار أكثر وأكثر ، ومضى النهار بين غيوم وغيوم ، رمادى ثقيل موحش ، وكان هناك بالقرب نهر صغير ، يسبح فيه البط فى جماعات، حيث هاجمهم التمساح فقالت كبيرتهم : كيف لم تخبرنا العصفورة بهذا الهجوم ، والله سوف نحاسبها على تقصيرها ولن نتكلم معها مرة أخرى ، قالت بطة عاقلة رغم سنها الصغيرة : وبأى صفة نحاسبها ، كانت العصفورة تفعل ذلك متطوعة ، لاعمرها طلبت قشة أو قطعة من سمكة أو مساعدة ، قالت كبيرة البط : هى خادمتنا .. وسوف نطردها إذا ظهرت فوق هذا النهر مرة أخرى ، بكت البطة الصغيرة التى كانت تعتبر العصفورة صديقتها وكاتمة أسرارها ، فى المرة الأخيرة روت لها إعجابها بفرخ بط أسود قابلته مصادفة ، بكت واشتاقات لها ، ولعب فى قلبها قلق عليها ، فقررت أن تبحث عنها دون أن تخبر أحداً ، مضت فى حال سبيلها إلى حافة النهر ، وقفزت قفزة رشيقة على العشب المبلول ، وصارت تهز ذيلها الصغير وتشم الأرض ، حاولت إسترجاع رائحة صديقتها العصفورة لعلها تعرف أين مكانها ، حدثت نفسها بفكرة كيف يمكن أن تتسلق شجرة لتبحث عن صديقتها فى عشها البسيط ، لكن رائحة جعلتها تتجه إلى بركة الماء القريبة التي طالما لعبت فيها بالطين فى أيام الشتاء الدافئة ، وجدت عصفورتها الصغيرة نائمة على جناحها لا تتحرك ، أدركت الخطر ، ذهبت نحوها وحركتها إلى زاوية فى البركة وحملتها بصعوبة إلى ظهرها ، وانتشلتها فأيقنت أن فى الجسد الواهن روحاً مازالت ، وضعتها تحت شجرة مورقة وأحضرت لها طعاماً وماء ، ففتحت العصفورة عينيها بجفنيها بلون أخضر ، وابتسمت ، وجدت أمامها

أحب قلب لها ، هزتها فى أمتنان على إنقاذ حياتها ، فقالت لها البطة فى حب وخجل : من بعض ما عندكم ياعصفورتى . قالت لها: هذا جميل لن أنساه لك أبدا ، قالت البطة : بالعكس ، هذا جميل لن أنساه أنا لك أبدا ، لقد جعلتى بطة مدللة مثلى تعرف معنى أن تقدم الخير لكائن آخر ، مساعدة شعرت معها بقيمة حياتى ، أنا مديونة لك بالسعادة التى شعرت بها اليوم لأول مرة فى حياتى ، سوف أخبر جميع البطات بروعة أن نعمل خيراً ويصبح كل من فى الغابة لبعضهم، يا بختك .. فعلتى هذا قبل الجميع ، وكنا نتصور أنك تسلين نفسك فى وحدتك ، لم نكن نعرف أنك عصفورة عظيمة لها عقل يفكر .

فى اليوم التالى أشرقت الشمس على المكان ، ووجدت تحت شجرتها عشرات الأصوات تغنى وترقص ، كان هناك بط وأوز وأرانب برية ، يدعونها للنزول إليهم ومشاركتهم هذا الحفل الذى نظموه على شرفها ، حفل بمناسبة نجاتها من الموت ، ووقفت البطة الصغيرة تدق بفرع شجرة على الأرض وهى تقول بصوت مسموع : أصدقائى .. أرجوكم أسمعونى ، أريد أن ألقى فى هذه المناسبة كلمة ، أرجوكم انصتوا .. هذه العصفورة التى كنا نسخر منها أحيانا ونشفق على عقلها الصغير دائما .. ظهر أنها أعقلنا حكمة وأشطرنا عملا وأطيبنا قلبا ، وهى الوحيدة التى عرفت سر الحياة هى أن نعطى ، وليس فقط أن نأخذ ، وأنا أدعوكم جميعا أن نفعل مثلها ، ولقد سمعت مرة من صياد كان يصطاد بالقرب من الشجرة التى نجتمع فى ظلها عند الظهر أن الناس لبعضها ، فلماذا لا نتعلم من الإنسان وهو أعقل مخلوقات الله ونعمل جميعا لبعضنا .

هزت العصفورة ريشها فى سعادة بالحفل الذى أقيم على شرفها تحت شرفتها ، وطارت وهى تقول لهم حان الوقت لكى أعمل ، إلى

اللقاء يا أصحابى ، وكانت وهى تحلق بعيدا تضحك من هذه العبارة الأخيرة : الناس لبعضها ، فلو كانت صحيحة لكان هؤلاء المجانين الذين يتشاجرون على أهون سبب ويحاربون على أتفه لعبة .. أسعد مخلوقات الله ، لكنهم للأسف يقولون عبارة نقية جميلة لا ينفذون وعدهم فيها .

وطارت ..

أربعة نساء وأنا !

أنا ساندرا بولوك ، أنا هي ، لا تذهب بعيدا وتتصور أنني أنتحل شخصية ساندرا ، لا أريد أن أقسم لك وأحلف وحياتك أنني هي .. لأنني هنا لأسألك سؤالاً أريد له إجابة رجل شرقي يعرف قيمة الحب: لو كنت زوجتك هل كنت ترغب فى خيانتي لأي سبب ؟ لو كانت حياتي معك اختياراً عن حب هل كنت تفكر مرة - ولو فكرة - أن تعرف امرأة أخرى غيري ؟ اوصف لقرائك كم أنا جميلة ومثيرة .. وطيبة . أنا فعلا طيبة.. صدقني طيبة .. لا تتصور أن نجمات السينما وحوش تأكل الرجال أخر الليل كما خيال المؤلفين فى الأفلام.. أرجوك أقنع من يقرأ رسالتي لك الآن أنني في كل الأوقات إمرأة بسيطة تحب بيتها تحرس زوجها تغار على زواجها من أي إمرأة هلفوتة تعبر لتخرب بيتاً سعيداً . أنا أثق أن كل إمرأة تريد زوج إمرأة أخرى هى إمرأة ناقصة هايفة ساذجة ، قرأت مرة كتاباً مترجماً عن أمثالكم الشعبية وفيه مثل ينطبق تماما على حالتي يقول :" اللي أخدته القرعة تاخده أم الشعور" ! بتضحك .. أنا أعجبك في ثقافتي المتنوعة والغريبة .. أنا .. هل قلت لك إنني مدهشة ولذيذة وطيبة . أنا أيضا زوجة تقدس الحياة الزوجية .. أخترت زوجي عن حب ، كان مدهش " المضروب " كان مثل أسمه إيه ده ؟ رشدي أباظة . يجنن " يخرب بيته " ، أول مرة أتقابلنا أكلته بعيني ، صممت أن أتزوجه ، هذا رجل

لا يقاوم ، إبتسامته غموضه سحره سره صوته، لم يكن أحد يتصور أنني وأنا النجمة الشهيرة ساندرا بولوك أتزوج هذا المعتوة المجهول المفلس ، أنا بفيلم واحد أشتري مائة رجل مثله ، بالمناسبة اكتب عندك أنني أحصل على خمسة وعشرين مليون دولار عن الفيلم الواحد ، الفلوس لم تعد تهمني .. عندي منها ما يكفيني أن أدفن فيها بعد عمر طويل ، قلت وقتها " اشتري راجل " ، أعذرني أنا متأثرة بالثقافة الشرقية منذ زرت الأهرامات مرة مع " أسم الله عليه ده " الخواجة زاهي حواس .. وشربت من القلة.. ومن"ماية " النيل " وشيشت " فى قهوة الفيشاوى .. وأكلت كباب عند أسمه " أبو شهرة .. أبو شكرة .. أبو شقرة " ، أنا بحب مصر كتير ، وهى كمان بتحبنى ، فيه كتير بيحبونى فى مصر وبيقلدونى .. وعرفت كمان من زوجتك إنك بتحبنى ، ولا تترك لى فيلم إلا وتشاهده . طبعا هى ضامنة إنك مهما حبتنى فيه ساعات سفر وبلاد كتيرة تفصل ما بينا .. واعية زوجتك .. واعية خالص .. بس أنا كمان بأكره أفكر فى أى رجل على ذمته واحدة ست !

لكن زوجى " البصباص أبو عين زايغة " ، اعترف إنه عرف " أربع ستات " وأنا على ذمته ، تصور أربعة .. أربعة وأنا ، كنت أذهب للتصوير وهو يستقبل امرأة غيرى فى الشقة التى دفعت ثمن كل شئ فيها من تعبى ومن سهرى ومن موهبتى ، ولو شفت أى واحدة عرفها هتقول أعوذ بالله على ذوقه ، قل لى من فضلك : لماذا يفعل رجل متزوج ساندرا ذلك ؟ ما هى المتعة التى تعود عليه من (الرمرمة) وهو متزوج ست الستات ، على فكرة أنا لا أمدح نفسى ، أنا أتكلم فى العموم ، كل ست فى بيتها هى ست الستات ، ملكة بيتها وزوجها وأولادها ، لماذا كان يستمتع بخيانتى، هل يحب الرجل أستغفال المرأة التى تثق فيه ، هل يحب أن يبدو قرن الغزال فى غابة مفتوحة !

منه لله اللى جرح قلبى ، كنت أحبه ، كنت على استعداد أن أبيع كل شىء وأشتريه .. حتى شهرتى وثروتى ، وهو الذى رفض أن أعتزل وأتفرغ لحياتنا، خاصة أننى قررت أن أتبنى طفلاً .. العمر بيجرى وأريد أطفالآ تؤنس وحدتى .. وأنا لا أنجب .. هل لهذا السبب خاننى.. لا أظن .. هو لا يحب صراخ الأطفال مثلى .. وهو الذى قال لى مرة همسا : لا أحب بطنك وهى منتفخة بطفل !

هل تظن أنه شخصية معقدة يكره أن تكون زوجته هى التى تدفع ثمن كل شئ فى حياتهما .. تفتكر ؟. أنا الأكثر شهرة .. أنا الذى أشخط فى الشغالة والسواق والسكرتيرة .. أنا الذى أختار ماذا نأكل وأين نسافر ومن ندعو على العشاء .. وماله ، أنا سيدة البيت .. ثم إننى أفهم أكثر منه .. كل النساء بالمناسبة يفهمن أكثر..ولو كانت أخطاؤهن أكبر !

تفتكر.. زعل ، لقد كنت معه زوجة مطيعة ، يكفى أن ينظر لى نظرة ذات معنى .. فأترك كل ارتباطاتى وأكون معه .. كنت أحب ذلك.. وهو جعلنى أحب ذلك .. لكن أبداً لن أسامحه على ما فعل .. أربعة.. أربعة نساء .. وأنا ، كان يتعمد أن يختار كل واحدة أسوأ من الثانية وأقبح وأقذر .. كان يجرحنى .. وهو حين أعترف فى برنامج تليفزيونى بخيانتى .. كان يزيد جرحى .. كان يقتلنى أمام ملايين البشر.. كان يقف على أنوثتى بحذائه فيسحقها .. كان يريد أن يخطف منى الكاميرا .. هذه حركات نجوم أعرفها .. لقد خطف منى الكاميرا التى طالما حسدنى فى سره عليها .. لقد تزوجنى وداخله شرور رجل يريد أن يمتلك نجمة كبيرة فى السماء .. فيقول لأصدقائه بفخر أعرفه عنه.. ماذا يفعل بى .. وكيف يجعلنى أدوخ وأتعذب وأصرخ وأتألم.. لا تذهب بعقلك إلى بعيد وتقول يا مسكينة وكيف

تكون الحياة من بعده.. هو كان يدوخنى فى طلباته .. ويعذبنى لكى أرضيه .. ويجعلنى أصرخ من الملل والزهق .. ويجعلنى أتألم من « بوزه الشبرين » . وهذا لا يمنع ـ حتى لا آكل حقه ـ إنه كان شريكاً رائعاً ..لكنه أنانى عديم الأخلاق، داخله قلب أسود .. كيف يجعلنى أهدى له جائزتى الأخيرة فى الأوسكار وأقول للعالم عنه إنه إنسان طيب وذكى ولولا دعمه ما حصلت على ما حصلت .. ويكون هو فى الوقت الذى أهديه جائزتى على الهواء أمام ملايين البشر ..يضحك ويسخر ويترنح ويسقط مع امرأة أخرى .. فى نفس اللحظة .. يااااااااا .. أريد أن أتقيأ ..ما هذا الرجل .. ماهذا المهرج الذى لا يملك نقطة دم ..من كل نساء الأرض من تقبل لحظة كهذه .. من من كل امرأة تتصور أن يخونها زوجها فى نفس اللحظة التى تهديه قلبها ومشاعرها وكلماتها الحلوة .. كان كل رجل فى العالم يحسده على عبارتى له .. وهو يمسح بأخر ما تبقى من كرامتى الأرض !

هو يطلب أن أعود له . وطبعا لن أعود . لو كان أَخر رجال الكون .. لو كان أخر عود كبريت .. لو كان آخر صدر يحتوينى .. لن أعود .. كيف أعود وقد ثقب كل مساحة فى قلبى حتى لم يعد قادراً على أن يحتفظ بنقطة دم .. أو نقطة حب .

قلبى المثقوب .. كيف يحمله من جديد .. وكيف يحمل رجلاً أخر غيره من جديد .. أقول لك إننى أخجل من أن يرانى أحد .. أشعر حين أذهب إلى مكان أن عيون الناس ترفع فستانى لترى حياتى عارية .. تتأمل تلك المرأة التى خدعها زوجها وخانها فى وقت كانت تفكر أن تنسحب من كل الأضواء وتبقى له وحده .. أتعذب من نظرات النساء لى .. حتى زميلتى جوليا روبرتس وهى صاحبة سابقة فى خطف رجل من زوجته

لتنجب منه أطفالها .. أشعر أنها تتشفى فى أنوثتى .. وقالت لزميلة مشتركة بسخرية : إذا لم تكن ساندرا تعرف كيف تحتفظ بزوجها .. فكيف تعرف أن تحتفظ بشهرتها !

غيرة عمياء وحقد .. فقد سرقت منها الشهرة والقمة وأصبحت أهم منها .. والدليل جائزة الأوسكار الأخيرة .. وسوف أحصل على أوسكار أخرى، لأننى كسبت من هذه الأزمة إحساساً غريباً بالنضج.. هكذا الممثلون يكسبون حتى من جروحهم الشخصية .. الخيانة عند المرأة جرح لا ينسى ومهانة لا تمحى وقوة غامضة مثيرة تجعلها قادرة على تحدى العالم وهزيمته ..

أطمئن أنا الآن أفضل .. لا أريد اجاباتك ولا رأيك .. خلاص .. أريدك فقط أن تقول للناس : لا تفرحوا فيما حدث لى .. على رأى المثل " اللى بيته من زجاج ما يحدفش الناس بالطوب " !

هل مازلت لا تصدق أننى ساندرا بولوك .. إنت حر !

البقية فى حياتها !

العزاء الليلة بمسجد رابعة العدوية ، رحلت نور .. هكذا ، فجأة اختفت عن الحياة وظهرت صورة فى الصفحة قبل الأخيرة من جريدة الأهرام، صورة لها ملامح الملائكة ، تبتسم .. تبتسم لكل الناس ، لكل قراء الأهرام الذين لا يعرفونها بالتأكيد ، لكنها على الرغم من ذلك تبتسم لهم .. كما كانت عادتها على الأقل فى السنوات الأخيرة ، قبل أن تختفى .. تختفى بالتدريج .. ثم ينشر إعلان وفاتها دون سابق إنذار .

نور ، لابد أن أعرفكم بها أولا ، هي الابنة الوحيدة لمسئول كبير مازال يحتل مركزا مهما على الرغم من نبوءات كثيرة بعزله أو إعتزاله بحكم العمر والأحداث ، يتحدى كل التوقعات ويبقى ، يتردد أنه فى السنوات الأخيرة قطع علاقته بإبنته قبل أن يعود فيلتقي بها من جديد ، ونور أيضا هي زوجة رجل أعمال معروف واسع الثراء يعمل فى تجارة الأدوية !

لا أكتب لكم قصة بوليسية بالمناسبة ، لا أجيد كتابة هذا النوع من الأدب الذي يقوم على المفاجآت المتتالية ..أكتب فقط قصة امرأة غنية جدا اسمها نور رحلت فى ظروف غامضة ، أو ربما رحلت فى ظروف عادية ، على كل الأحوال إختفت السيدة نور وفى العزاء تقدم الأب بوابة دار العزاء بوجه ثابت لا يهتز فى رحيل إبنته التي لم تحتفل بعد

بعامها الأربعين ، بينما كان الزوج يدخن بشراهة ويتبادل الأحاديث مع معزين ، كان العزاء مزدحما بوجوه لم أعرف منها الكثير، وجوه بسيطة طيبة خائفة لكنها حزينة ، للحزن الحقيقي علامات لا تخطئها عين ، وقد كان الحزن طاغيا ، كان حزننا أكثر عمقا من البكاء، وأستطيع أيضا أن أصف المعزين أنهم كانوا مثل موج البحر ، لايكاد مقرئ العزاء ينتهي من جزء من القرأن .. حتى يرحل بشر ويأتي بشر .

أما قصة نور .. فهي أصل ما أكتبه عنها الآن ..
في يوم من الأيام كانت نور تعيش حياة تشبه السعادة مع زوجها ، تتنقل بين قصور وتسافر على طائرة خاصة ودولاب ملابسها يشبه محلاً كبيراً للملابس ، كل طلباتها تتحقق بإشارة ، كل أوامرها تنفذ ، لم يكن لديها وقت للأحلام ، فهي كما كانت تفتخر أمام صديقاتها : تملك ما تتمنى قبل أن تفكر فيه !
كيف تتخيلون حياة امرأة مثل نور؟
لقد تزوجت عن قصة حب أسطورية ، كانت سعيدة لأمر آخر غير الحب الذي تعددت مواعيده في كثير من المدن وتعلم الحروف بأكثر من لغة .. كانت سعيدة بالحب نفسه ، بحبيبها المنتظر الذي أصبح زوجا.

لا تتوقعوا أن أقول لكم الآن إن زوجها أجهض مشاعرها بالخيانة ، أو تتوقعوا أنها لم تنجب ، أو أنها أصيبت بمرض ما .. ظلت نور حب زوجها الوحيد ، أنجبت ولداً وبنتاً ، وتمتعت بكل صحتها وبهجتها ! وفي يوم ، هكذا الأيام تتخفى وتخفي مفاجأتها ، طلبت منها صديقة مقربة أن تتبرع لطفلة في حالة خطرة وتحتاج إلى جراحة عاجلة ، كانت المرة الأولى التي يطلب منها طلبا كهذا ، تحولت دهشتها إلى

صمت.. ثم خوف .. ثم ضحك .. ثم رغبة فى البكاء ، طلبت من زوجها مائة ألف جنيه ، لأول مرة تكتشف أنها لا تملك المال ، كانت فقط تطلب الأشياء التي تشترى بالمال.. كل ما كانت ترغب في شرائه يأتي دون أن تفكر فى طريقة دفعه ، حصلت على المبلغ وقررت أن تذهب بنفسها إلى حيث تنام الطفلة المريضة فى غرفة العناية الفائقة فى انتظار الأمل، كان هذا اليوم فصل النهاية والبداية في حياة نور ، لقد شعرت رغم كآبة الحزن بسعادة كالنهر المتدفق تغمر كل نقطة في جسدها النحيف ، أحست بالحياة تنبع من كفيها ، إنتفضت تبحث عن امرأة أخرى مفقودة تسكنها تخبئها تحيرها ، غاصت فى الفرجة على مأسي الناس فأيقنت أنها خلقت للبحث عنها ، أصبحت أيامها منذ هذا اليوم .. محاولة إكتشاف جراح العاجزين ودموع الفقراء حين تقف الحياة بهم على حافة ، إنغمست فى تلك الرمال المتحركة التي تجعل مساعدة الآخرين متعة ، ولمس الأحزان لذة ، والمشاركة فى عزاء الجوعى منتهى الشبع .

هكذا عاشت نور سنواتها الأخيرة .. سيدة القصور زهدتها ، سيدة الثراء وجدت أن ثراءها فقر وسلطتها ضعف ، حاولت أن تقنع زوجها أن يتبرع بماله من أجل الفقراء الذين لا يعرفهم ، إجتهدت فى أقناعه أنه لا طعم لملعقة طعام وهناك من يموت من الجوع ، لما فشلت.. حاولت أن تعلم أطفالها الإستغناء عن قطعة الشيكولاتة من أجل طفل محتاج ، والتبرع بثمن عروس بلاستيك لطفلة يتيمة ، ولما فشلت .. بحثت عن الأصدقاء والجيران والمعارف تقنعهم .. كانت تحاول أن تقنعهم بالمستحيل ، حقيقى بالمستحيل ، أن يبيعوا قصورهم الفاخرة وسياراتهم الفارهة ولا يسافرون فى العطلات إلى الخارج ولا يقيمون الولائم والحفلات ، سخروا منها ، نبذوها ، تهربوا منها ، قالوا عنها

مجنونة ، وتفاوض الزوج مع الأب فى ضرورة أن تسافر للخارج فى رحلة علاج طويلة فى مستشفى للأمراض العقلية على أطراف لندن.. وسافرت .

ولما عادت .. عادت نعياً فى الأهرام ، وعزاء فى رابعة العدوية . بينما تنتشر شائعات تشبه الحقيقة أنها مازالت على قيد الحياة هناك، وموتها كان صفقة مدبرة من أجل إسدال الستار عن قصة قصيرة لامرأة جميلة صحت يوما على حياة لم يتوقع أقرب الناس لها أن تلعب فيها دور البطولة .

اليوم الواحد والثلاثون !

وقفت سارة أمام منصة القضاء تبكى وتتوسل أن يحكم لها حضرة القاضى بالطلاق من زوجها الأديب المعروف !
نظر القاضى فى أوراق القضية التى قرأها فى الشهر الأخير ثلاث مرات على الأقل لكى يطمئن قلبه وهو يصدر حكما عادلا ، ثم نطق بالحكم .

خرجت سارة من عدالة المحكمة وهى تكاد تشم الهواء لأول مرة فى عمرها الذى إقترب من الخمسين ، أخيرا حصلت على حكم منتظر بالطلاق من هذا الرجل الذى عاشت معه خمسة وعشرين عاما من الذل ، لقد أهانها فى اليوم الواحد والثلاثين من ليلة الزفاف ، انقضى شهر العسل .. باليوم ، وفى النهار التالى .. صفعها على وجهها وهى تقول له : صباح الخير ياحبيبى !
وهكذا ، .. كشف الزوج عن وجهه الآخر ، أزاح رومانسية الرجل الذى أحبته ، رفع الستار عن شخص تسكنه عقدة قديمة حين كان زوج أمه يعنفه ويضربه ويعاقبه فى حضور الأم دون أن تتحرك أمومتها نحوه .

دوى الصفعة الأولى .. لا تنساه ، وهى دونته فى مفكرتها الصغيرة

التى عرفت كيف تكتب فيها مذكراتها الشخصية من اليوم الواحد والثلاثين من زواجها التعيس .

وبعدها .. تكررت الصفعات ، تشابهت الإهانات ، تشابكت الأيام، كانت وحيدة أمها ، ولا تملك سواها ، وحين إشتكت لها من عنف زوجها .. لم تكن الأم الوحيدة تملك سوى أن تقول لها : .. معلهش يا ابنتى ، أصبرى ، غدا .. سوف يعقل ، غدا سوف يصبح ملاكا ، غدا سوف يتحول إلى رجل رحيم يتعاطف مع ضعف امرأة فى حمايته وفى حياته !

ولم يأت غدا ، لم يأت غدا أبدا ، ولم تكن تملك حق الرفض أو الإعتراض أو الهروب، لم يكن لديها أب يدافع عنها ، تلجأ إليه فيضمها فى صدره ويحصل لها على حقها الضائع فى الحب والأمان .

وهل تريد أى امرأة سواهما : الحب الذى يوقظ المشاعر الجميلة ، والأمان الذى يحرسها حين تنام ؟

ومضى ما مضى من عمر ، أنجبت - ويا لها من صدفة - ثلاث بنات ! وتحملت من أجلهن عنف هذا الرجل المهووس بالإساءة لها ، الذى يكتب عن الحب فى رواياته الطويلة ويشرح الأحاسيس ويفتح المسام ويرسم أدق التفاصيل التى تبحث عنها كل امرأة .. ثم يكسر قلمه على عتبة البيت .. فيدخله عابسا غاضبا عنيفا ، أوقات قليلة - دونتها فى مفكرتها الصغيرة - كان يصبح فى رقة ملاك وفى روعة ليلة صيف موحية وفى إخلاص طفل يتمسح فى كفى أمه !
ثلاث بنات ، كانت تفكر فى مستقبل تلك الزهور ، مع أى رجل

سوف تعيش كل واحدة ، هل نصيبهن مثل نصيبها ، كيف تحميهن من فارس مفترس ، يفرش إبتسامته الودودة الطيبة .. ويخفى أسنان الذئب ليأكل وينهش ويقتل فى الوقت المناسب .

كانت لا تدعو فى صلاتها الا لهن ، اللهم أرزقهن أزواجا غير زوجى ، أزواجاً أطيب من الأب ، أرق من الأب ، أرقى من الأب ، ..
وأستجاب لها الله ، زوجت البنات الثلاث فى سنة واحدة ، وسألت واستخارت وبكت فى حضرة الله سبحانه وهى تطلب منه أن يجعل نصيبهن فى الحياة .. أروع منها .

وفى اليوم الواحد والثلاثين من زواج كل بنت منهن ، كانت تسأل كل واحدة : .."... هل تغير زوجك معك ، هل هو نفسه الرجل الذى جاء أول يوم لخطبتك ، هل مازال عريسك ، رجل حياتك ، هل قلبه مازال معه ، وعقله فى رأسه ؟ ..".

وتهز العروس رأسها فى خجل .. لكن الأم لا تطمئن من اليوم الواحد والثلاثين ، كل يوم تسأل ، كل لحظة تفكر ..

ومضت ثلاث سنوات على زواج كل بنت فيهن ، وقلبها إطمأن أن الله إستجاب لدعائها ، لصلواتها ، لدموعها ، لأرقها ، .. واستقبلت صباحاً قررت فيه أن تبحث عن حياتها المفقودة ، عن كرامتها المهدرة ، عن قلبها الذى لم يكن يوما معها .
وكلت محامياً لقضية خلع من زوجها الأديب الذى تحملته خوفا من جوع وعجزا عن الحياة وحبا فى بناتها .
وأرفقت فى أوراق القضية مذكراتها معه باليوم والساعة ، حتى

الإجازات الرسمية والأعياد وأيام كان يحبسها المرض فى فراشها كلها دونت كل مشاعرها على ورق بحبر ودم ، خمسة وعشرون مفكرة صغيرة تشبه بعضها وتشبه أيامها وتشبه حزنها وتشبه الزنزانة الضيقة التى عاشت فيها .. وكتبت للقاضى بخطها تطلب إفراجاً بعد انقضاء مدة العقوبة المؤبدة .. تطلب عفوا عاما بعد عذاب نصف عمرها

سيدى القاضى : لا أطلب الطلاق لحب جديد فى حياتى ، ولا أبحث عن حريتى .. أبحث يا سيدى عن حقى فى الحياة ، عن كرامتى المهدرة خمسة وعشرين عاما ، عن نفسى ، عن يد تحملنى وتحمينى فى الدنيا وفى العواصف .. لا عن يد تصفعنى كل صباح باسم الرجولة .. وباسم عقدة قديمة لا ذنب لى فيها ، أنا يا سيدى أطلب الطلاق ولا أريد تعويضا عن كل قلم صفعنى ، ولا كل ركلة فى جسدى تركت تذكارا من المشاعر المرة التى لا تمحى ، أنا سأخرج بفستان ودموع ولا أعرف سيدى بشرفى بعد كل هذا العمر إلى أين أذهب ؟ والله سيدى لا أعرف ، كل ما أعرفه سيدى أن أمى ماتت ومات معها كل شئ فى عمرى ، وأننى بعت شقتها ومصاغها من أجل أن أجهز بناتى وأسترهن .

اسمح لى بالطلاق سيدى القاضى .. وتمنى لى حظا ولو قليلا من السعادة التى حرمت منها ..

وخرجت سارة تحمل شهادة حريتها أخيرا .. وحقيبة صغيرة بها خمسة وعشرون مفكرة صغيرة تحمل قصة حياتها منذ اليوم الواحد والثلاثين .. واختفت !

امرأة سرية .. رجل علني !

صباح الخير حبيبتي ، كتبها على مج النسكافيه ، تحب هذه الكلمة منه ، صنعت مشروبها الدافئ بمزاج ، ووقفت في نافذة تطل على بحر من الطابق العشرين ، بيروت التي تهواها ، كلما أتت إلى هنا تذكرت تفاصيل أول لقاء ، كيف تصبح المصادفات جملة مكتوبة بعناية فى رواية ، التقت به فى الطائرة التي سافرت بها إلى بيروت ، مقعد يلتصق بمقعدها ، تحب السفر حين يأتي فجأة ، قال لها رئيسها في العمل وهو يمضي ويتركها : تذكرة وتأشيرة ، عايزين تغطية تستاهل السفر ، تعمل في قناة تليفزيونية خاصة لم تمنحها النجومية ، منحتها الحرية ، تسافر وتتحرر من هذه القيود التي تعيشها فتاة فقيرة من شارع جانبي في حي مجهول ، وفرت لها القناة ثلاث عمليات تجميل ودولاب من الفساتين الأنيقة ، قال لها صاحب القناة مرة وكان يضع سبحته بين أصابعه ونظرة يتفحصها بجرأة ووقاحة : سوف يكون لك دور مهم في هذه الشبكة ، إنتفضت قليلا ، لكنها بمرور الوقت سقط منها كل خوف ، كان لديها رغبة مجنونة بالحياة ، لم يرغب صاحب شبكة التليفزيون في شئ أخر إلا أن يغرقها بنظراته ومكافآته ، إلتقت مرة بزوجته ، سيدة تكبره قليلا ، ربما فى الخمسين، تأملتها ثم قالت : إنت المذيعة الجديدة، مش بطالة ، لم تفهم شيئا ، لكنها كانت لا تريد أن تفهم ، داخلها إحساس غبي أنها لو فهمت سوف تكره نفسها ، سوف تفقد كل ما

تحصل عليه ، لكنها .. لم تصبح مذيعة ، ظلت مراسلة يظهر منها ظهر وكتف وفستان ، سافرت بيروت للمرة الأولى ومعها عنوان طبيب تجميل يصنع العجب ، إختارت أن تكون بعضاً من نوال الزغبي على إليسا على نانسي عجرم ، وبعد ثلاث محاولات .. إقتربت ، في رحلتها الثانية .. التقت به ، بعض من آثار الجراحة على أنفها وخلف أذنيها ، تحاول أن تخفى ندبات وخطوط وخيوط ، بخصلة شعر وأصابع على وجهها النحيف ، دب فيها جمال من أثر جراحات التجميل والفساتين الجديدة ، كانت جديرة بالغزل .. فكتب لها على طرف منديل أبيض من الذي يترك مع وجبات الطعام في الطائرة : أنت جميلة ، هكذا خبط لزق ، ووضعه بيده في يدها ، لأول مرة تعرف الغزل مكتوبا وتدركه دون مقدمات ، أعجبها أنه قال لها ما تتمناه في الدقائق الأولى من إقلاع الطائرة ، سوف تعرف فيما بعد أنه مغرم بالكتابة ، كتب لها كل مشاعره طوال عام من معرفته ، ليس كاتبا على كل حال ، هو رجل أعمال يقضي في الطائرات والفنادق أكثر مما يقضي في بيته ، هي لم تعرف له بيتاً ، على الرغم .. هل قالت لكم إنها تزوجته بورقة كتبها في سهرة على ضوء شموع ؟

تتزوجيني ، تزوجته ، دون أن تعرف تماما من يكون ، من ، ماذا يفعل في حياته غير البيزنس والبوكر ، كيف يقضي أيامه بدونها ، هل تزوج قبلها أم تزوج بعدها ، كانت الصفقة محددة : نزوة مكتوبة ، يغطيها قانون ، وهي .. من داخلها كانت منفلتة، لم تمر بتجارب من هذا النوع، لكنها لا تمانع ، ظروفها الاجتماعية ربما جعلتها تردد دائما : مش فارقة ، في السابق لم يكن عندها مانع أن يلمس أستاذها في الجامعة يدها وأكثر .. ويمنحها درجة مقبول في امتحان آخر السنة ، لم يكن لديها مانع أن تشترى فستاناً جديداً رخيصاً من محل بسيط بوعود لا تدفع منها شيئا، ولم يكن لديها مانع أن يطلب منها صاحب الشبكة

التليفزيونية التي تعمل بها .. شيئا ، لكنه لم يفعل ، حتى كان جار مقعدها ، أحبها بكلمة كتبها لها على تذكرة السفر والطائرة تلمس أرض المطار ، منحها رقم تليفونه فى بيروت ، وفي المساء كانت معه فى الروشة ، وفي الليل منحها صك زواج دون شهود ، قال لها فى اليوم التالي سوف تظلين سرية ، امرأة سرية ، فأنا رجل مهدد بالموت إذا أعلنت زواجي ، تأملت وجهه بعناية ، وصرخت بعفوية : يا نهار أسود .. هو إنت ، قال لها : هو ، كان تماما كما لم تتوقع مسئولاً مهماً، زوج ابنة رجل مهم ، وقفزت إلى صدره سعيدة، اندهش ، قالت له إنها جريئة بما يكفي لتغامر ، قالت له ايضا : أنت أحلى مغامرة ، وبقى الأمر سرا ، كانت تنتفض حين تراه على شاشة التليفزيون فى حوار ، وكانت تسمع سب الناس له ، فهو بحكم القوة التي يملكها والنفوذ الذي يحميه مكروه ، لكنها كانت سعيدة أنها تملك جزءاً من حياة هذا الرجل ، مرت سنة ، كانت لقاءاتهما فى بيروت تخضع للمفاجآت ، رسالة قصيرة وموعد وسفر، شئ كثير فى ملامحها تغير ، أصبحت منفوخة من حيث لا تدرى ، متعالية من حيث لايعرف الناس السبب الذى يجعل مراسلة خلف كاميرا بكل هذا الغرور ، كانت مازالت تطل من نافذتها فى الفندق الشهير ، طلة الدور العشرين ، والنسكافيه فى يدها يستعيد ذكرياتها التي تراها أجمل ما مرت فى حياتها ، قالت له فى سرها : لماذا لا تعلن زواجي يا ابن الإيه على الجميع ؟

تمنت لو تصبح علنية ، أرهقها سرية العلاقة ، تمنت ، فهل يفعلها ، هو رقيق لم يحاول أن يجرحها يوما أو يزعجها أو يطلب منها طلبا فوق طاقتها ، أعطاها أكثر من أمنياتها ، جعلها سيدة ممتلئة بالحياة ، كريما إلى حد البذخ ، يفاجئها بهدايا ترفعها إلى حلم لا تستوعب أنه حدث، دق باب الغرفة ، دقات خفيفة ، فتحت بعد أن أحكمت روبها على جسدها المنتشي ، لم تجد إلا خطاباً على باقة ورد ، منه .. فلا أحد

يفعلها يفاجئها غيره ، هذه لمساته ، هذه هو ، كان الورد جميلاً ، يشبه حلمها، فتحت ورق الخطاب ، لم تجد خطه ، كان خطابا بذيئا من امرأة مطعونة، تقول لها ما لايقال ، زوجته ابنة المسئول المهم ، وفى نهاية الرسالة ملحوظة : أرسلت لك باقة الورد بناء على رغبة زوجي أن ينهي علاقته بك بأسلوبه الناعم ، أنا لا أحرمه من شئ حتى لو كانت نزوة مثلك أو رخيصة مثل غيرك !

سقط منها كل شئ ، حتى هي ، ماذا يحدث ، هذه ليست كاميرا خفية سوف يظهر بعدها مذيع سمج فاشل يقول لها نذيع أو لا نذيع ، قالت لي وكانت تبكي بدموع سخية حقيقية بعد مرور سنة من حادث الورد والطابق العشرين فى بيروت : هل أنا رخيصة إلى هذا الحد .. إلى حد أن يبيعني صاحب القناة التي أعمل بها إلى هذا الرجل ، فأحبه ، باعني بتأشيرة قناة جديدة له ، وكان كل شئ تمثيلية رديئة ، عمليات التجميل ودولاب الفساتين وتأشيرات السفر إلى بيروت ومقعده المجاور ، أنا نادمة على أنني .. فقط أحببته ، وكان تمثيله متقنا إلى درجة لم تعد تقنعني بأدوار أي رجل آخر يمر فى حياتي .

قصتها حقيقية ، تصوروا .... وحبها أيضا !

١ـ أنوثة مبكرة !

كان مذاق القهوة مراً ، على صفحة الفيس بوك كتبت: اليوم يمر أربعون عاما على ميلادى يا أصحابى الأعزاء ، منحها صاحب المقهى فنجان قهوة أخر مجاملة معتادة منه ، مضبوطة ، فنجان القهوة على صينية فضية وكوب ماء يعكس أشعة شمس صافية تأتى من النافذة المطلة على البحر تخيلته يعكس عمرها كله ، والبحر هادئ يفكر بحكمة فى قرار مهم مثلها تماما، كتبت لها صديقتها ليلى تعليقا على الصفحة : كل سنة وأنت أجمل الناس يا دندونة ، همست لنفسها هكذا ليلى لا تفرق بين حزنى وفرحتى ، تمر على ذكرياتى مرور مجامل، قرأت صفاء أفكارها على الرغم من المسافة البعيدة التى تفصل بينهما فكتبت لها: صباح الخير يا دينا .. أفهم أنك اليوم تعيسة .. فقد عشت قبلك بخمس سنوات لحظة الوصول للعام الأربعين .. ولا يهمك سوف تعتادين .. سوف تعتادين الشجن أو الخوف أو اللامبالاة .. أيهم أقرب .

تفهمها صفاء على الرغم من فواصل المسافات بينهما ، بين الإسكندرية التى تطل على بحرها الأن ودبى التى تسكن أحد أبراجها، صفاء وصديقة عمرها ، الطفولة وسنوات الهمس الأولى حين إرتعش جسداهما بالتغيير .. كانت صفاء دليلها إلى مراحل الأنوثة الأولى ،

معلمتها ، تسألها ولو بخجل ، تصف لها أدق المشاعر التى تبلغها ، قالت لها صفاء مرة وكانتا عند البحر فى العجمى : سوف تعانين كثيرا من أنوثتك المفرطة ، لم تفهم ، كانت فى الخامسة عشرة من عمرها ، صغيرة على أن تفسر كيف تصبح أنوثتها المكتملة فى هذا العمر .. كارثة أو مصيبة أو مشكلة ، هى تفرح وجسدها كل يوم ينضج بسرعة لا تتوقعها ، يتفتح فيصبح لمسامه زغب ورائحة ، تشعر بدفء سخى وممتع ، وتحلم دائما أحلاما سعيدة .

غابت الشمس قليلا بين سحابتين ، وهاج البحر فإستيقظت من الماضى الذى صار بعيدا ، كيف تعبر السنوات بسرعة هكذا ، كانت قطعة الثلج فى الماء تذوب فرأت عمرها فيها ، وبرد فنجان القهوة كما الإحساس بنفسها ، كان الحب الأول عابراً .. كما كل الأشياء الأولى: تجربة أن ترسم حبيبك على الورق بشخبطة قلم ثم تمنحه شفتين وتقبلهما قبل أن تنام ، لا تذكر من التجربة الأولى سوى اللمسة الأولى لأصابع يديها الباردتين ، حدث هذا قبل أن تقول لها أمها : سوف يأتى لنا زميل والدك فى العمل الليلة مع ابنه ، وتزوجت ، لم يكن معها حب أو تجربة أو ما شابه ، كان معها أمنيات أن تحب ، أن تتعلم الحب ، أن يتفتح جسدها بكلمات كالتى يكتبها إحسان عبد القدوس فى قصصه ، ووجدتها الحياة ، ليس فيها إلا أيام قصيرة من شهر عسل، من بدايات عمر وعشرة ، أيام مرت - تتذكر ساخرة - بروتينية مؤلمة ما بين نوم وطعام ، وكليهما شبع ، لكن جسدها كان فى حاجة إلى حوار، إلى مناقشة، إلى همس، إلى كلمة إلى أشياء كثيرة غيابها صدمها، جعل لجسدها صداً مبكراً مدهشاً ، فكان يئن حين يحاول زوجها أن يلمسه، بكت مبكرا ، وكان بكاؤها بلا دموع ، وأصعب حزن هو الذى يغيب فيه الصوت عن الشكوى . كتبت لها صفاء تعليقاً جديداً على صفحتها : الماضى هو أتفه من

أن نضيع حاضرنا من أجله . كيف تلتقط صفاء بالفعل أفكارها بكل تلك المهارة وتقرأها ، عاد البحر لصمته ، تذكرت ابنتها ملك التى تستكمل دراستها فى لندن ، على الرغم من ضآلة فرق التوقيت ، وعلى الرغم من أنها هى التى جعلتها تشترى كمبيوتر تكره ملمسه وتتعامل مع الفيس بوك الذى يشعرها دائما بإفتقاد الأحباب ، فلم ترسل لها رسالة تقول لها : كل سنة وأنت طيبة يا دندونه ، هل نضحى كثيرا فى الحياة من أجل آمال لا تتحقق و نتائج لا نحصل عليها ، رفضت الزواج بعد إنفصالها المبكر ، وعاشت تربى إبنتها الجميلة ملك ، خافت عليها من كل نسمة ، وخبأتها من كل رجل يحاول أن يحصل عليها ، أرغمتها أن تخلص للتعليم وشهادتها ومستقبلها ، وفى مواسم الربيع حين كانت تشتاق لرجل يغطيها بمشاعره ويسد لها فراغ جسدها المثقل بالأنوثة، كانت ترسمه ، تجنبت الوقوع فى مسافة رجل يعيد لها غثيانها، لم يكن هناك هذا الرجل الذى يتعامل مع مشاعرها التى تشبه القطن الهش بحذر ، عشرون عاما من الوحدة إختارت فيها أن تكتب شعراً وتصدره فى ديوان رسمت هوامشه بقلمها رجالا من عالم غامض عنها، عالم لاتعرف أين يكون ، ولا كيف يذهب له العشاق ، عرفت رجالا لتكتب عنهم قصائد مشوهة ، وفى الليل كانت تلعن هذا الرجل الذى مر فى حياتها مفترسا كل ثمرات الأنوثة التى كانت تنبئ بمفاتن أكثر مما حصدت ، رجل أتقن الحصاد المبكر ، حصاد الأخضر قبل أن يكتمل النضج ، فكرهت أنوثتها وأرغمتها على الإختباء فى بنطلون جينز وقميص أبيض ، ولا تذكر متى كانت المرة الأخيرة لإحتفالها بأنوثتها، إرتدت فستانا أسود ووضعت ألواناً على ملامحها التى تصورت أنها ذبلت فأينعت وسهرت مع عمر فى مطعم يطل على فنار الإسكندرية القديم ، أين ذهب هذا الحب الخاطف الذى ومض فى مساء كانت تشعر فيه

باشتياق إلى أعماقها ، فوجدته ، رجلاً تسبق رائحته التى تشبه موسم الخوخ .. ابتسامة ودودة فيها طيبة الرجولة .. يتكلم فتأتى حروفه من عمق بعيد يطمئنها أن كل حرف يقوله ذاق ملمس الحقيقة بين ضلوعه ، تمنت يوم التقيا فى هذا المقهى فى ستانلى أن تكتشف دفء الشتاء بين كفيه ، كان يعزف البيانو فى سحر وسخاء ، فجلست ترسمه على أقرب ورقة أمامها بقلم حبر من بقايا طفولتها ...

تجمع على حافة كوب الماء ندى رقيق يسمح أن تلهو به .. لمحت ثلاثة تعليقات إضافية على صفحتها ، كان أولها ابنتها ملك ترسل لها قبلة مرسومة من كارتون ، حتى القبلات سرقت واستبدلت ، وكان التعليق الثالث كتبه عمر ، هل هكذا يقرأ الجميع أفكارها هذا النهار ...

٢ـ لعلنا نشعل العالم حبا !

كتب لها علنا بحروف بارزة على صفحتها : أحبك ، حان الوقت لنعلن أن حبنا نور يجب أن يراه الجميع ، تخيلته وكانت فى منتصف دهشتها أنه إختار كل حرف بعناية قبل أن يكتبه على لوحة الأحرف ويتبعه بتكة زر إلى الفضاء، إلى العلن، إلى الناس .. إليها .

تجلس أمام الكمبيوتر متحدية كل رغبتها فى البكاء على أطلال أربعين عاما من عمرها ضاعت هكذا بين انتظار وانتظار ، كان عمر ـ الرجل الذى إلتقته مصادفة ـ رسول حب جاء يعرض عليها أن تقع فى الحب ما تبقى لها من العمر ، أمضت معه ليلة من المفاوضات على مائدة لاتجمع إلا اثنين وشموعاً ظلت شامخة على الرغم من اشتعالها الليل طوله ، كانت فى الخامسة والثلاثين من عمرها ، مازالت ترفض نظرات الشفقة ومفاوضات العطف والانكسار ، قالت له : هل فى القلب مساحة كافية لكى أغطيها بحب يبقى معى العمر كله . قال لها دون أن يبدو مهزوما :سوف أمنحك الحب كله .. العمر كله . قالت وهى تحاول أن تكون فى شجن يليق : لقد إخترت أن يكون العمر كله لابنتى ملك ، وسوف أمضى معها ما تبقى لى من أمنيات ، قال : لا تكونى عنيدة إلى درجة ضياع مشاعر سوف تسعد الجميع .

ومضت الليلة التى كل ليلة مضت بعدها تمنت أن تعود وتقول له أحبك، أقترب أكثر لعلنا نشعل العالم بحب يصلح ما أفسده رجال السياسة ورجال الاقتصاد ورجال يجلسون فى السر لا نعرف عنهم شيئاً إلا أنهم لا يحبون رؤية اثنين على حب فى هذه الحياة .

أين ذهب عمر إلا من أيام تحمل تاريخ ميلادها ، يرسل لها باقة زهور وخطاباً مكتوباً بخط يده بقلمه الحبر الذى يمنحه حباً دافئاً ، عمر حبها الذى لم تأت الفرصة المكتملة لتقول له إنك حباً يستحق أن تضحى من أجله بكل معتقداتها التى أخلصت لها، يأتيها اليوم فى أربعين عمرها ليعلن على الملأ أن الحب يجب أن يبقى ولو .. سوف تقرأ إبنتها ملك على صفحتها الفيس بوكية إعلان الحب الذى صاغه حبيبها المختبئ كما إعلان إنقلاب ، فهل تبارك لها حبها أم تنقلب عليها معلنة أنها ملكية خاصة بها ، لايجب لأحد أن يقترب منها أو يأخذها بعيدا عنها، لكنها الآن فى حاجة إلى هذا الحب ولو كان لبعض العمر وليس العمر كله ، تشعر بأن جسدها أصبح مثل هذه الخطوط التى ترسمها بالقلم الفلومستر على مناديلها الورقية فى لحظات شرود ، مجرد خطوط لا حياة فيها ، فلماذا لا تجرب حبا يجعل الحبر الفلومستر دماء ساخنة ونهراً من عسل وماء يتدفق بغزارة حرمان زمن من الصمت والانتظار، الأربعون من عمر امرأة ليست فسحة فى بحر تبلل عندها الأصابع على أن تعود فى المرة القادمة لتستحم ، لو لم تستحم الآن فى البحر حتى أخر خصلة من شعرها ، فمتى ؟ عمر.. بحر هائج ثائر يغرى بالمغامرة، يحرض على الغوص فيه مرة واحدة دون تفكير أو تدريج ، هو رجل فى منتصف العمر يصغر أعوامها بخمس سنوات ، فهل فى الحب عند المنحنى أو عند حافة الهاوية أسئلة عن العمر وعن كلام الناس وعن مصمصة الشفاه ، قالت لنفسها : أريد أن آخذ الحب كله

كما وعدنى عمر .. أن تنتقل المفاوضات من عشاء حول مائدة مستديرة إلى حب فوق مائدة مستديرة ، حب يعرف أن التفاوض ضياع عمر من العمر ، التفاوض اشتباكات ساذجة حول ما يريده كل طرف من الآخر ، مع أن أجمل التفاوض هو أن يسلم الطرفين فى وقت واحد .. فى نفس اللحظة ..

على صفحتها كتبت لها صفا صديقتها التى تعرفها كأنها نفسها : الأربعون فرصة لنبدأ حياتنا من جديد كما أطفال ، فهل يلوم أحد الأطفال إذا كسروا لعبتهم أو لطخوا ملابس العيد بالحلوى والألوان .

كل شئ فى يوم لقائها بالعمر الأربعينى أصبح متاحاً للعلن ، يناقشها أقرب الناس لها اليوم كأنهم يناقشون العام الأربعين فى حياة أى امرأة وليست حياتها هى على وجه الخصوص ، كتبت على الفيس بوك : أنا أحتفل بيوم مولدى وحدى ، قهوتى مرة وقلبى موجوع على عمرى الذى ضاع دون أن يلتفت له أحد ، ابنتى ملك .. أستحلفك بغربتك أن تعودى .. ويا حبيبى عمر أعلن لك قبول حبك لى ، علنا ، فقد مللت صمت السنوات التى مضت ، أعلن للجميع أن فارق العمر بينى وبين رجل أعلن حبه لى علنا هو شىء ساذج لن أجعله يسرق منى كل لحظة تالية فى العمر.

وتدفقت على صفحتها تعليقات بعضها بذىء لا تعرف من أين جاء، أغلقت شاشة الكمبيوتر كأنها تغلق زمناً لاتريد أن تراه ، وكان فى جسدها مسام تتفتح كأن ربيعها جاء ، سألت نفسها سؤالا : من يعطى الآخر معناه الحقيقى ، نحن نعطى العمر معناه .. أم يعطينا العمر معناه، كان سؤالها له مغزى أن سنواتها الأربعين لن تمنحها شيخوخة مبكرة

تمنعها من الحب ومن الحياة ، فى داخلها طاقة مذهلة تهزم كل الظروف الصعبة التى جعلت من عمرها جداراً يحجب عنها أشياء جميلة يجب أن تراها ، كان البحر الذى يجلس تحت قدميها يودع شمس هذا اليوم ببطء ببطء ، كأنه يتفاوض معها على بقاء ، لكنها كانت تريد لليل هذه المرة أن يأتى ، لتنفرد بنفسها فى هدوء وتعترف لها بأنها يجب أن تبقى وتستمر وتولد من جديد ، طفلة كما كانت تحب طفولتها ، تشعل النار المنطفئة فى أنثوتها وتستعيد كل المشاعر المنسية ، الإنسان ليس مجرد كيس قماش يعيش ساكناً و يمضى العمر به . قالت إنها لا تريد أن تصبح هكذا ، تريد أن تصبح إمرأة أربعينية ممتلئة بالحياة ، بالقدرة على التغيير ، على صناعة عصير العنب من عناقيد ظنت أنها جافة ، كانت تغادر مقهاها والبحر خلفها قد أظلم تماما ، تتلقفها أضواء باهرة على كورنيش الإسكندرية ، حين رأته يعبر الطريق من الرصيف الآخر قادما نحوها بفيض من الحيوية ، كان عمر .. كان عمرها . أدركت أن المفاوضات انتهت.. وأن التالى هو وقت إيقاظ المشاعر .

٣ـ مقهى صغير فى زقاق عجوز !

فى الإسكندرية ، تحديدا فى حى الأنفوشى الذى يشبه صفحة فى رواية قديمة كتبها نجيب محفوظ ، هناك زقاق يحمل اسم الشاعر بيرم التونسى ، زقاق ضيق تتلاصق بيوته فى حنو بالغ ودفء مدهش ، ودكاكين تبيع العطارة تفوح من صناديقها رائحة التوابل والبخور ، ومنظر ضيق للبحر ملهم بإتساعه ومراكب صيد صغيرة تغرى بالنوم فى أحدها والسفر بعيدا حيث تشتهى الريح أن تذهب ، هنا الحب طازج مثل رائحة البحر تماما ، وجوه سمراء لا تعرف الاتصال بالعالم الخارجى بالإنترنت أو الفيس بوك ، عشش ضئيلة عفية لا تهزها ريح وشفاه تبتسم حين تطرح شباك الصيادين سمكاً طازجاً ، دعاها إلى عشاء من السمك المشوى ، كانت الرياح خفيفة ترفع ذيل فستانها الطويل قليلا ، طاولة على بحر تطل من مقهى صغير فى زقاق ضيق ، ما أجمل أن تذوب فى مكان لا يصل لك فيه أحد ، مكان معزول عن كل ما يشغل بال العالم ، هنا لاشئ يهمها ، لا ماضى معها ، لامستقبل تفكر فى وسيلة الإنتقال له ، هنا حاضر يناسب تمّاما وفقط المساحة أو المسافة التى يجلسان فيها ، طاولة خشب مهترئة من ملوحة البحر ومقعدين من القش ، ما أجمل الحياة حين نفقد كل ما نملك ويبقى معنا فقط مايحقق لنا الهدوء والسعادة فى لحظة لا تعود ، يجلس عمر بقميص أبيض مفتوح على شبابه ويقبض على أصابعها العشرة كأنه يقسم لها بحبه،

بينما تجلس دينا بأعوامها الأربعين تطرد العبارة المشينة التى تذكرها أن هذا الرجل الجالس أمامها يصغرها خمس سنوات على الأقل وربما أكثر ، لكن تمسك فى روحها إحساس ماهر يجعلها تشعر بنشوة وإسترخاء لم تشعر بها منذ سنوات طلاقها الأولى، سنوات طويلة لم تفكر أصلا أن الحياة يجب أن تكون رجلاً وإمرأة، غاصت فى مقعدها القش فشعرت أنها تريد أن تقترب منه أكثر ، تظل ممسكة به العمر كله، شئ فى أعماقها يرجو المزيد من الاقتراب لعلها تشطب من عمرها عاما بعد عام ، فكرت ـ وهى لاتريد فى تلك اللحظة أن تفكر ـ فكرت لو مضت عمرها تائهة فى هذا الزقاق الضيق ، فتكتب لها شهادة ميلاد جديدة وحياة عشوائية تستيقظ فيها وقت ما يشاء الحب أن يستريح لدقائق ، لا تحسب كم بقى معها من سنوات ولا كم مضى من أحلام مكسورة خشنة محبطة ، كان البحر هذا المساء يشبه حبيبها عمر، نعم حبيبها ، لقد أجلت إعلان الحب خمس سنوات فماذا كسبت سوى مزيد من التجاعيد حول عينيها ورقبتها ، الحب يجعل السنة .. لحظة ، فلا نشعر كم هى صعبة الحياة ولا يسمح لعمرٍ أن يسجل سنواته على وجوهنا وأجسادنا ، شعرت أو تذكرت ترهلاً فى بطنها وتحت ذقنها وفوق ساقيها ، فجلست معتدلة لعلها تمحوها فى مساحة من الوقت يجب فيها أن تبدو على مستوى الحب بكل رونقه واشتعاله ، قال لها الرجل الذى قاد ثورتها : ... "... أحبك ، أنا أحبك ، حين أتذكر أننى فقدتك خمس سنوات أتذكر كم مرة مت فى البعد عنك .. ".

وتنظر فى عينيه بكل بريقهما وتهمس لنفسها : ... ".. معقولة ، هذا الفتى يحبنى ، هل مازلت مرغوبة فى حب ، ماذا يريد منى ، روحى أم جسدى ، يلهو بى أم يجرب مشاعر امرأة محرومة .. "

وتقول له : ..."... كفاية كده ، تعبت منك ، .. ".

وتضع إصبعها على شفتيه وهى تسأله سؤالاً يبدو جادا جدا : ..."..
عمر .. إنت بجد ؟ ..."
ويبتسم ، هو يحترم أن كل إيماءة منه قد تفهم خطأ يمكن أن تجعلها تبتعد عنه ، يحسب كل حرف فهو يرصد الحساسية المفرطة التى تحتويها ، قال لها فى كامل رجولته : ..."... أريد أن أعيش العمر كله معك ، وهذه ليست أمنية نشوة ولا هو قرار طفل يلهو بلعبة ، أنا أشعر بك كل شئ فى حياتى ، أنا وأنت يمكننا أن نصنع حياة لاتشبه أى حياة، حياة لا تختصر فى رغبة أو مشاعر أو علاقة ... أنا وأنت يمكن أن ننجح..." .

كانت هذه هى المرة الأولى التى تسمع أو تجد رجلاً يتكلم عن علاقة بين اثنين بهذه الطريقة التى وصفها بالنجاح ... هل يمكن أن توصف علاقة أساسها حب واشتياق ورغبة بلا شك نطويها داخلنا احتراما لمكانتنا .. توصف بقدرتها على النجاح .

قالت له تتنفس أنوثة كانت تظن أنها غادرتها : ..."... هل تريد أن تتزوجنى ، هل اختفينا كل هذه السنوات لنفس السبب أننى أكبرك سنوات ، وتأتى هذه الليلة بكل بساطة وأنا أغادر عامى الأربعين وتطلب منى ارتباط العمر كله ...؟."
قال لها وفى ملامحه قدرة على إرتجال عبارات حب موحية : .."... مستعد أن أفعل ذلك الآن ، أنا قدرى ، لا أحب رسم ملامح للحياة، أحب أن أطيع القدر دون تفكير ، وأعرف كم هو رائع القدر الذى يعقد حباً بين اثنين ... موافقة ..؟.."

قالت وقد إبتلت من رذاذ بحر تنوى أن تتحول إلى رخات : ..."...
المطر قال كلمته ، أحضنى أيها الفتى الذى تمنيته حبيبى وإبنى وأخى
وصديقى .. "..

غادرا المقهى الصغير يحتميان من المطر بأبواب بيوت قصيرة قديمة ، لا
توصف رائحة المطر والبحر والماضى المنبعث من بوابات البيوت التى
كانت يوما تخبئ قصصا كأساطير ، سارا فى محازاة كورنيش طويل
على شفتاهما يترسب ملح ، فاجأهما وميض برق ، فضمها .. وذاقا
طعم الملح .

محتويات الكتاب

صفحة

نافذة صغيرة علي بحر !

وللحقيقة : أنا لم أؤلف هذا الكتاب .. فقد حكوه لى وأنا بدورى أحكيه لكم ، لكن مابين الحكاية الأولى والحكاية الثانية مسافة من العمر جلست أصيغ فيها ماعرفته ، أحذف وأضيف وأؤخر وأصنع من الحبة التى وضعتها امرأة ومضت .. قصة ، إنها قصتها ، وقصتى مع قصتها ، وقصتنا مع الحياة الطويلة الصعبة بكل جنونها وتقلباتها وخوفنا منها وخوفنا عليها ، .... وعندما تقرأ وتفكر فيها فسوف تصبح بالضرورة : قصتك مع قصتها وقصتى وقصتنا ..

وسوف تحب المرأة ماجاء فى هذا الكتاب عنها .. وسوف تكرهه أيضا ، مع إنها هى التى تحكى قصتها ، تشرب قهوتها وتحب وتتزوج وتبكى وتضحك وتسافر وتنتقم وتفكر وتخطط وتخلع ماتبقى لديها من هموم على شاطئ بعيد له بحر غامض غامق غريق ، تصنع التفاصيل الصغيرة التى تجعل لحياتها إختلاف عن كل وأى إمرأة غيرها ، سوف ... ، وسوف أكرر شكرى لكل من خبئت عندى قصتها ، ومن سوف تفعل ذلك أو يفعل ، فأنا .. عاشق لقصص ا[illegible]تى ومهمتى [illegible] .

